كتاب الأمة

سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر

العدد: ٦٤ ربيع الأول ١٤١٩هـ السنة الثامنة عشرة

إشكاليات العمل الإعلامي

بين الثوابت والمعطيات العصرية

أ. د. محي الدين عبد الحليم

الطبعة الأولى

ربيع الأول ١٤١٩ هـ

حزيران (يونيو) - تموز (يوليو) ١٩٩٨م

٣٠١,١٥

محيي الدين عبدالحليم

اشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية

محيي الدين عبدالحليم - الدوحة: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

١٩٩٨. ٢٠٠ ص، ٢٠ - (كتاب الأمة، ٦٤)

رقم الايداع بدار الكتب القطرية: ١٩٩٨/٣٠٠

الرقم الدولي الموحد للكتاب: × - ٧٧ - ٢٣ - ٩٩٩٢١

أ - العنوان ب - السلسلة

حقوق الطبع محفوظة
لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
بدولـــة قطـــر

موقعنا على الإنترنت : www.islam.gov.qa

ما ينشـر في هــذه السلسلـة يعبـر عن رأي مؤلفيها

صدر منه :

- **مشكلات في طريق الحياة الإسلامية**

« طبعة ثالثة » – الشيخ محمد الغزالي

- **الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف**

« طبعة ثالثة » – الدكتور يوسف القرضاوي

- **العسكرية العربية الإسلامية**

« طبعة ثالثة » – اللواء الركن محمود شيت خطاب

- **حول إعادة تشكيل العقل المسلم**

« طبعة ثالثة » – الدكتور عماد الدين خليل

- **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**

« طبعة ثالثة » – الدكتور محمود حمدي زقزوق

- **المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري**

« طبعة ثالثة » – الدكتور محسن عبد الحميد

- **الحرمان والتخلف في ديار المسلمين**

« طبعة ثالثة + طبعة إنجليزية » الدكتور نبيل صبحي الطويل

- **نظرات في مسيرة العمل الإسلامي**

« طبعة ثانية » – الأستاذ عمر عبيد حسنه

- **أدب الاختلاف في الإسلام**

« طبعة ثانية » – الدكتور طه جابر فياض العلواني

● التـــراث والمعـــاصـــرة

« طبعة ثانية » – الدكتـــور أكـــرم ضيـــاء العمـــري

● مشكلات الشباب : الحلول المطروحة والحل الإسلامي

« طبعة ثانية » – الدكتـــور عبـــاس محجـــوب

● المسلمون في السنغال ـ معالم الحاضر وآفاق المستقبل

« طبعة أولى » – الأستـــاذ عبد القـــادر محمـــد سيـــلا

● البنـــوك الإسـلاميـــة

« طبعة أولى » – الدكتـــور جمـــال الديـن عطيـــة

● مدخـــل إلى الأدب الإسـلامـي

« طبعة أولى » – الدكتـــور نجيـــب الكيـــلاني

● المخـدرات مـن القلـق إلـى الاستعباد

« طبعة أولى » – الدكتـــور محمـــد محمـــود الهـــواري

● الفكـر المنهجـي عنـد المحدثين

« طبعة أولى » – الدكتـــور همـــام عبد الرحيـم سعيـد

● فقـه الدعـوة ملامـح وآفـاق في حوار

الجزء الأول والثاني « طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر ـ الأستاذ عمر عبيد حسنه

● قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر

« طبعـة أولى » – الدكـتـور زغلـول راغـب النجـار

● دراســة فـي البنـــاء الحضـاري

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب ـ الدكتور محمود محمد سفر

● في فـقه التـدين فـهـمـاً وتـنـزيـلاً

الجزء الأول والثاني « الطبعة الأولى »+طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب ـ الدكتور عبدالمجيد النجار

- **في الاقتصاد الإسلامي (المرتكزات - التوزيع - الاستثمار - النظام المالي)**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور رفعت السيد العوضي

- **النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية - دراسة مقارنة**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور محمد أحمد مفتي والدكتور سامي صالح الوكيل

- **أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور أحمد محمد كنعان

- **المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور عبد العظيم محمود الديب

- **مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب - نخبة من المفكرين والكتاب

- **مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور ماجد عرسان الكيلاني

- **إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور ماجد عرسان الكيلاني

- **الصحوة الإسلامية في الأندلس**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر - الدكتور علي المنتصر الكتاني

- **اليهود والتحالف مع الأقوياء**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر - الدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي

- **الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر - الأستاذ منصور زويد المطيري

- **النظم التعليمية عند المحدثين**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر - الأستاذ المكي أقلاينة

- **العقل العربي وإعادة التشكيل**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر - الدكتور عبد الرحمن الطريري

- **إنفاق العفو في الإسلام بين النظرية والتطبيق**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر - الدكتور يوسف إبراهيم يوسف

- **أسباب ورود الحديث**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر - الدكتور محمد رأفت سعيد

- **في الغزو الفكري**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر - الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح

- **قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي**

الجزء الأول والثاني « طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر - الدكتور أكرم ضياء العمري

- **فقه تغيير المنكر**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر - الدكتور محمد توفيق محمد سعد

- **في شرف العربية**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور إبراهيم السامرائي

- **المنهج النبوي والتغيير الحضاري**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الأستاذ برغوث عبد العزيز بن مبارك

- **الإسلام وصراع الحضارات**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور أحمد القديدي

- **رؤية إسلامية في قضايا معاصرة**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور عماد الدين خليل

- **المستقبل للإسلام**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور أحمد علي الإمام

- **التوحيد والوساطة في التربية الدعوية**

الجزء الأول والثاني « طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الأستاذ فريد الأنصاري

- **الإســــــلام وهمــــــــوم الـنـــــــاس**

« طبعة أولى » + طبعــة خاصــة بمصــر، وطبعة خاصة بالمغــرب ـ الأستــاذ أحمــد عبــادي

- **التأصيـــــل الإســـلامي لنظريـــات ابن خلـدون**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغــرب ـ الدكتـور عبـد الحليـم عويس

- **عمرو بن العاص .. القائد المسلم .. والسفير الأمين**

الجزء الأول والثاني « طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب ـ اللواء الركن محمود شيت خطاب

- **وثيقــة مؤتمر السكــان والتنميــة .. رؤيــة شرعية**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب ـ الدكتور الحسيني سليمان جاد

- **في السيرة النبوية .. قراءة لجوانب الحذر والحمايـة**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب ـ الدكتور إبراهيم علي محمد أحمد

- **أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب ـ الدكتورأحمد بن عبد العزيز الحليبي

- **من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليـغ والتطبيق**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب ـ الأستاذ عبد الله الزبير عبد الرحمن

- **عبد الحميـد بن باديس رحمه الله وجهوده التربويـة**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب ـ الأستاذ مصطفى محمد حميداتو

- **تخطيـــط وعمـــــارة المـــــدن الإســـلاميـــــــة**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب ـ الأستاذ خالد محمد مصطفى عزب

- **الاجتهـــاد الجماعـــي في التشريــــع الإســـلامي**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب ـ الدكتور عبد المجيد السوسوه الشرفي

- **النظم التعليمية الوافدة في أفريقيا .. قراءة في البديل الحضاري**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب ـ الدكتور قطب مصطفى سانو

قـال تعـالىٰ :

﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (طه : ٤٢–٤٤)

تقديم
بقلم : عمر عبيد حسنه

الحمد لله الرحمن، الذي خلق الإنسان، علمه البيان، وأهّله بقابليات العلم والتعلّم والاكتساب، الأمر الذي ميّزه الله به، فأسجد له الملائكة، وسخّر له سائر الخلق، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ...﴾ (البقرة: ٣١-٣٣).

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ (الحجر: ٢٩).

فالإنسان بهذه المؤهلات، استحق أن يكون محل الوحي الإلهي، ووسيلة تطبيقه وتبليغه والإعلام به، وحمله إلى الأجيال المتعاقبة، وبيان محاسنه، لتحقيق الانفعال به، والالتزام بمقتضياته، وتلك هي إذن مهمة بالغة، وأمانة حملها هذا الإنسان المؤهل لحملها، وقول ثقيل، قال تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (المزمل: ٩). فأمانة حمل الدعوة وحسن تبليغها وامتلاك الحجة، والتحلي بالحكمة، والإخلاص في النية،

والصواب في العمل، من الصناعات الثقيلة فعلاً.. ولعل مسألة الإعلام تعتبر جماع ذلك كله، وخلاصة ذلك كله.

والصلاة والسلام على مَن أوتي جوامع الكلم، وكان في الذروة من قومه فصاحةً وبلاغةً وأمانــةً وتميـزًا فـ ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (الأنعام: ١٢٤)، الذي جُعِلَ البلاغ المتسم بحسن الإبانة وقوة التأثير وملائمة مقتضى الحال، غاية مهمته ووسيلة دعوته، قال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (النور: ٥٤). وقال: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥). وقـال: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾ (الرعد: ٤٠)... إلى آخر هذه الآيات التي تحدد المهمة وتبين أبعادها وتقدّم نماذج تطبيقية عليها في الكتاب والسنة.

وبعــد:

فهذا كتاب الأمة الرابع والستون: «إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية» للأستـاذ الدكتـور محي الدين عبد الحليم، في سلسلة «كتاب الأمة» التي يصدرها مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر، مساهمة في اكتشاف مواطن الخلل الواقع في الحياة الإسلامية، في محاولة لمعالجة أسباب هذا الخلل، وعدم الاكتفاء والتفكير بترميم آثاره، حيث ما نزال نراوح في مواقعنا في

مجالات عدة، لم نحقق إنجازًا يُذكر، ونتوهم أحيانًا بأننا نقطع المسافات ونفيد من الزمن، مهما حاولنا إيجاد المسوغات وصناعة المبررات، إلى درجة يمكن أن نقول معها: إن الجهد الذي نبذله في صناعة المسوغات -الأمر الذي يساهم بتكريس التخلف وتنمية العجز- لو بذلنا بعضه في المواقع المجدية لتغير الحال، ولأمكننا توظيف إمكاناتنا المتاحة بشكل أفضل، ووضعنا ولو خطوة واحدة صائبة على الطريق، تتلوها خطوات في الاتجاه الصحيح.

وما أزال أعتقد أننا نفتقد الرؤية الاستراتيجية المطلوبة على مختلف الأصعدة، التربوية والتعليمية والإعلامية والسياسية والاقتصادية، بل أستطيع القول: بأن المسلمين بعامة والكثير ممن يدعي النخبوية والقيادة منهم، مجرد من قابلية التفكير الاستراتيجي، وليس مجرد غياب الرؤية الاستراتيجية التي تبصّر بالأهداف وتحددها وتجدولها بحسب الأولويات، وتتعرف بدقة على الإمكانات المتوفرة، وتدرس الظروف المحيطة، وتضع البرامج والمناهج والوسائل التي تحقق هذه الأهداف، وتتحسب للتداعيات الممكنة، وتستعد للاحتمالات المتوقعة، وتقوم بعمليات التقويم لكل مرحلة من مراحل الطريق، والمراجعة الشاملة لتحديد الإصابات والأخطاء التي لحقت بالاجتهاد في ذلك كله، وإضافة كل تجربة إلى رصيد التجارب السابقة لتكون محل دراسة.

فالعاقل هو الذي يعتبر بنفسه وغيره، والأحمق هو الذي يصير عبرة لغيره، ولا يفيد من أخطائه وأخطاء الآخرين.. فاستشراف الماضي هو الأساس والسبيل للتعرف على الواقع واستشراف المستقبل.

وما لم يتحقق لنا هذا النهج الفكري ونتوفر على قابلية التفكير الاستراتيجي في مجالاتنا كلها، وما لم تتوفر لنا الرؤية الاستراتيجية لأنشطتنا كلها، فسوف ننمي التخلف، ونكرس الركود والتقليد والاستنقاع، بكل ما يحمل ذلك من التضليل والضلال عن الأهداف والذرائعية القاتلة.

ولا يكفي في ذلك الندب والبكاء على الحال، والحماس الآني، واتهام «الآخر»، والإلقاء بالتبعة على عظم التحديات وخطورتها، كما لا يكفي الانفعال وردود الأفعال واعتماد عامل الإثارة، ومحاولة المعالجة بمزيد من الخطب ورفع الأصوات وسماكة الحناجر، والهروب من قضية إلى أخرى، دون إنضاج موضوع أو دراسته بجرأة وشجاعة وتقويمه لبيان موطن الخلل فيه، وعوامل النجاح.

لقد أَرْدَتْ هذه الغوغائية الكثير من الشباب، وهدرت الكثير من الطاقات، ودمرت الكثير من الجهود، وبعثرت الكثير من التضحيات.. دفعت الكثير من الشباب إلى الجهاد والموت تحت رايات عميّة وحماس عامي، وتحركات يغلب عليها عمى الألوان.. وأخطر من ذلك كله، أنها

ألقت بالتبعة والمسؤولية على الشباب، وشَكَتْ من استعجالهم وحماسهم وعدم وعيهم، دون التفتيش عن المسبب الحقيقي، ومن كان وراء ثقافة الاستعجال وحالة غياب الوعي وصور الحماس المردي.. وقد لا نكون بحاجة إلى ذكر ساحات الخسائر المتلاحقة، واستمرار خطباء وزعماء الهزائم والإحباطات يضربون الطبول، وينتقلون بزعامة الهزيمة وقيادة الهزيمة والخذلان من موقع إلى موقع.

وكم كان يتمنى الإنسان أن تقع يده على دراسة واحدة خلال نصف قرن أو يزيد على عمر العمل الإسلامي الحديث، بجوانب أنشطته المتعددة، تقوِّم التجربة، وتحدد الأخطاء، وتبصر بالطريق، وتلغي العصمة الكاذبة، وتدرب الأفراد على النقد والتقويم والمراجعة، واستعادة البشرية الغائبة لقيادات العمل، وعدم الخوف من الخطأ، ذلك أن التستر على الخطأ مع الأسف أصبح ثقافة، وأصبح له سدنة متخصصون، بحيث لم يعد يقتصر على مجالات العمل الجماعي، وإنما انعكس على ثقافة الفرد وممارساته في المجالات كلها.

وقد بدأ الإنسان يدرك -وإن كان هذا الإدراك جاء متأخراً- لماذا يطلب زعماء وقادة ومشايخ الثقافة الذرائعية النظرَ دائماً إلى الخارج، وتجريم محاولات النظر إلى الداخل، على الرغم من ادعائهم وخطبهم وكتاباتهم أن عمليات الإصلاح والتغيير تبدأ من الداخل، من النفس،

واستشهادهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١).

وبدأ يدرك أيضًا لماذا تَوَجَّه علماء الإصلاح إلى الأمة قبل أن يتوجهوا إلى الدولة، وتمحور اهتمامهم بالنظر في خطورة فساد العلماء وقادة الفكر، واعتبارهم هُم السبب، أكثر من اهتمامهم بفساد الحكام والأمراء –لأن فساد قادة الرأي هو الفساد– والتوجه نحو إصلاح المبادئ والعقائد والأفكار، أكثر من توقفهم عند فساد الأشياء والآثار.

والدارس المتتبع لآثار الإمام ابن تيمية رحمه الله، الذي يعتبر من فقهاء الميدان، وأئمة الإصلاح، يرى ذلك واضحًا في منهجه، حيث توجه بكل اهتمامه الإصلاحي إلى عالم الأفكار وحَمَلَتها من العلماء والفقهاء، لأنهم القادة الحقيقيون، ولم يتوقف إلا قليلاً عند مناصحة الأمراء والحكام، لأنهم في نهاية المطاف هم المُنْتَج الثقافي للعلماء والمربين وقادة الفكر، «فكما تكونوا يولى عليكم»، و«عمالكم أعمالكم».

والواقع الذي لا يمكن إنكاره، يعتبر خير شاهد إدانة مستمر لحال مؤسسات التربية والتعليم والإعلام وكل وسائل التشكيل الثقافي، بما تنتجه من شخصيات مهزوزة قائمة على التقليد والمحاكاة، بعيدة عن التفكير والاجتهاد والتبصر بالنتائج والاعتبار بالعواقب، والقدرة على أن تستوعب الماضي وتستشرف المستقبل، أو بعبارة أخص: بعيدة عن

التفكير الاستراتيجي، أو صناعة قابلياته على مختلف الأصعدة، الفردية والجماعية.

لقد كان العطاء المتميز، هو المأمول من مؤسسات التربية والتعليم والإعلام، وخاصة المؤسسات الأكاديمية المعنية بتوفير التخصصات والدراسات المنهجية والموضوعية، التي تنتج التخصصات المطلوبة في شعب المعرفة المختلفة، وتهيئ القابليات، وتدرب على البحث العلمي، بما تطرحه من مشروعات رسائل الماجستير والدكتوراه، وبما تقيمه من حلقات بحيث وندوات ودوريات محكمة ومراكز بحوث، وبما تخرج من كوادر مطلوبة للمجتمع.

لكن مع شديد الأسف نجد أن بعض هذه المؤسسات التي شيدت لتشكل مجتمعات أنموذج، أو مواقع متقدمة للمجتمع، تدرس همومه وإصاباته ومشكلاته، دراسة موضوعية، وتقدم له الحلول والمعالجات المطلوبة، وتضعه على طريق التغيير والارتقاء، تحوّلت إلى مشكلة وعبء مالي، وفي كثير من الأحيان عبء ثقافي، لأنها انتهت إلى خدمة الأفراد القائمين فيها وعليها بدل أن يكون الأفراد في خدمتها، ولم تستطع انتشال الأمة من واقعها.

ونستطيع القول: إن الكثير من رؤى التغيير والتطوير والتجديد وتحديد المشكلات والإحساس بها، دخلت على هذه المؤسسات

الأكاديمية من المجتمع، ولم تخرج منها إلى المجتمع، بحيث تحولت الأشكال الأكاديمية إلى قوالب متيبسة وأسوار شبه مقدسة لا تمس، يختبئ وراءها الكثير من الصور الثقافية المشوهة والمهزوزة المأزومة، وفي أحسن الأحوال قد تعيد إنتاج فكر «الآخر»، وإصداره باسمها كما هو، بكل عجره وبجره، لعدم توفرها على المرجعية الشرعية التي تشكل معيار الاختيار والاختبار والتنقية، وعدم إدراكها لمعادلة الأمة الاجتماعية ولمشكلاتها الذاتية، لذلك لم تحقق المأمول منها تمامًا، وضخت في المجتمع بعض الخريجين، الذين أصبحوا عالة ومشكلة بدل أن يساهموا بتنمية المجتمع والنهوض به.

وقد يكون من أخطر المشكلات التي ما نزال نعاني منها، لوجود العناوين الكبيرة وافتقاد المضامين البسيطة، المسارعة في الإعلان عن أقسام في العلوم والدراسات الإنسانية والاجتماعية في المعاهد العليا والجامعات، دون أن يتوفر لها المتخصصون، وتتبلور لها المناهج والأدوات المعرفية الكافية، الأمر الذي اضطر القائمين عليها إلى تغطية ساعات التدريس فيها بنظريات وأساتذة ومناهج وكتب ومراجع وبرامج «الآخر»، فلا المتخصص متوفر، ولا المنهج ولا المرجع ولا الكتاب، ولا حتى فلسفة القيم النضيجة في شعب المعرفة المطلوبة، وبذلك نكون فتحنا أقسامًا ومعاهد أتحنا فيها مساحات إضافية لثقافة «الآخر»، وفي أحسن الأحوال تقديم مواضيع ودراسات غير مقنعة أمام تقدم هذه العلوم والمعارف عند

«الآخر»، تنتهي إلى مصلحته عند المقارنة، لذلك لم تستطع هذه المعاهد والجامعات أن تمد الوجود الإسلامي بشيء يذكر.

وكذلك الحال بالنسبة لوسائل الإعلام والمواد الإعلامية المقدمة بشكل عام، حيث نتفاخر في كثير من الأحيان بإصدار صحف ودوريات، ونعجز عن ملئها وتحريرها، فنقدم مساحات إضافية لثقافة «الآخر»، ويكون نصيبنا منها التمويل والمسؤولية، شأننا في ذلك شأن المرأة المستوصلة التي تستعير شعر غيرها وتوصله بشعرها، فتحاول الظهور على غير الحقيقة لمخادعة الناس.

وليس الحال في مجال البث الإذاعي والتلفزيوني بأحسن حالاً، حيث يتم إنشاء المحطات، والإعلان عن ساعات طويلة من البث، وإمكاناتنا في حقيقتها قد لا تغطي بعض بعضها، لا من الأشخاص ولا من البرامج، فنضطر إلى استدعاء «الآخر»، ويصدق علينا قول ربنا: ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ ﴾ (الحشر: ٢).

وفي تقديري أن الأبعاد الإعلامية اليوم، لا تقتصر على وسائل الإعلام المسموعة والمكتوبة والمرئية، من إذاعة وصحافة وتلفزيون، وعلى ما يطرح من خلالها من البرامج والفقرات المتنوعة، حيث تحاول اليوم أن تتعاطى وتمتد إلى تغطية جميع جوانب الحياة من ثقافة وسياسة واجتماع واقتصاد وتربية وفلسفة.. إلخ، وتستخدم جميع الأساليب، بحيث

أصبحت قادرة على اختزال الحياة وطي المسافات، واستدعاء الأشخاص وإشراكهم بالعطاء من مواقعهم، أو بمعنى آخر: يحاول القائمون على أجهزة الإعلام أن يكون الإعلام بديلاً عن كل شيء، ويصبح المصدر الوحيد للتلقي والتثقيف، وهو ما يتطلب أضخم الإمكانات وأرقى الخبرات وجميع التخصصات بل خلاصة التخصصات.

إن التقدم الرهيب في المجال الإعلامي جعل الدولة الإعلامية هي الطور الأخير للدولة في مراحل تطورها المتعددة، من الدولة السياسية إلى الدولة الاقتصادية إلى الدولة الثورية، إلى أن صار العالم اليوم يتجه إلى مرحلة الدولة الفكرية الإعلامية، لأن الإعلام اليوم هو المروج والصانع والممكّن لكل سمات وأبعاد الدولة بمفهوماتها وأطوارها التاريخية.

نقول: إنه على الرغم من ذلك كله، فإن الأبعاد الإعلامية تمتد لتشمل جميع مجالات الأنشطة الذهنية والفكرية والثقافية والفنية كلها، وتشارك في بنائها العقائد والأفكار، وتصب في خانتها أدبيات الأمة جميعها، بمدارسها وجامعاتها ومعاهدها ومؤلفاتها في مختلف العلوم والفنون والآداب، حتى إن مخزونها التراثي الذي يعتبر المنجم الحقيقي للعملية الإعلامية يحتل خانة أساسًا في الكيان الإعلامي الشامل، ومن هنا تبدو الخطورة واضحة عندما تتحول وسائل الإعلام لضخ فكر «الآخر»، وتصبح مجالاً لامتداد «الآخر»، وإن كانت وطنية في

جغرافيتها إلا أنها غريبة في هويتها، لذلك فإن المسؤولية عن القضية الإعلامية هي مسؤولية تضامنية عامة ومشتركة، كل في موقعه ومن موقعه، ولا يعدم أحد كائنًا من كان قدرة ما على المساهمة في المسألة الإعلامية، عطاء ووقاية.

وقد لا يكون غريبًا ولا مستغربًا أن تربو مساحة المواد الإعلامية للدولة التي تحكم العالم اليوم على ٩٠٪ من الضخ الإعلامي العام على مستوى العالم كله، الذي بات يشكل القرية الإعلامية المسكونة بإعلام الدولة القوية والمتحكمة، وأن عصر الهيمنة على الأثير قد بدأ عقب عصر الهيمنة على الأرض والهيمنة على البحار.

وأخشى أن أقول: بأن دول العالم الإسلامي أو دول البلاد النامية بشكل عام، تعيد التجربة التاريخية الخائبة على المستوى الإعلامي من جديد، فكما أنها استوردت التجارب الاقتصادية والسياسية والثقافية فأدى ذلك إلى التكديس وتكريس التخلف والاعتماد على «الآخر»، وكما نمّى هذا الاستيراد الأعشى العجز وحال دون الإبداع، وأضاعت الأمة في ذلك أجرها وعمرها وأموالها، لأنها حاولت أن تعيش على المظاهر الخادعة، وتقف على أقدام وأشياء «الآخر»، كما يتكرر ذلك اليوم بالنسبة للمسألة الإعلامية.

لكن الخطورة تتمثل في أن القضية الإعلامية تملك من الطاقات والإمكانات والإغراءات وقوة التأثير الثقافية ما كانت تفتقده المستوردات السابقة، إنها لم تعد تقتصر على توجيه الرأي العام والتحكم به وتشكيله حسب أهدافها ومقاصدها، وإنما تحولت من توجيه الاهتمامات إلى زراعتها وصناعتها ومن ثم قيادتها.. إنها بدأت تحتل اليوم العقول والعواطف والهوايات والأوقات جميعها، فقد تقود الإنسان من عقله، وقد تقوده من هواياته، وقد تقوده من شهواته وغرائزه، لأن بعض تلك المحطات الفضائية أصبح أقرب ما يكون إلى المواخير والأندية الليلية، وإشاعة الانحلال الخلقي، لأن مثل هذا الانحلال الذي يدخل على الناس باسم الحرية الشخصية أو الحرية الفكرية، التي تسوق المنكر والفساد، والاعتداء على القيم، وتعدي حدود الله، هو الذي سوف يؤدي إلى الذوبان وانعدام روح المقاومة، وافتقاد الذات، وتحضير القابلية والتمكين لامتداد «الآخر».

إن إلغاء الحدود السياسية والجغرافية بين الأمم، الذي يمارسه الإعلام اليوم، والقفز من فوقها، واحتلال الفضاء، وإرسال الصواعق من فوق الرؤوس، وتحريك الزلازل والبراكين من تحت الأقدام، سوف يؤدي إلى لون من الاستنساخ الثقافي والإعلامي، فتصبح جميع الدول والأمم تمثل رجع الصدى للدولة الإعلامية والثقافية الأقوى التي لا يقف أمامها شيء، ويُفلسف لذلك بطروحات بدأت تسود وتؤصل باسم العولمة والعالمية

والإنسانية، وما لها من المشترك الإنساني شيء، وما لها من حوار الثقافات شيء، فهي ليست أكثر من حوار مع الذات بقوالب إعلامية مغرية، وليست أكثر من الجبرية الإعلامية لثقافة الغالب والتمكين لها.

وقد تكون المشكلة الأساس تكمن في بعض وسائل الإعلام في بعض بلدان العالم الإسلامي التي تستورد التقنيات والبرامج والأشخاص، ومن ثم تحسب الشحم فيمن شحمه ورم، فتعيش على الورم والانتفاخ، وتظن أنه نمو وسمنة طبيعية فتسيء لنفسها في استعمال هذه التقنيات، فتتحول إلى وسائل لهز الثوابت وتوهين القيم، وكسر الموازين، واغتيال مواثيق الأمة وأعرافها، والاعتداء على حرماتها وتقاليدها باسم حرية الرأي، وتنتهي هذه الحرية المدعاة كما هو مخطط لها، لتصبح النافذة التي يدخل منها «الآخر».

ومن هنا نقول: بدل أن تمارس وسائل الإعلام في دول العالم الإسلامي رسالتها في التحصين الثقافي والوعي الحضاري، وتقدم النماذج التي تبني الشخصية، وتحمل الرسالة، وتثير الاقتداء، وأدلة التعامل مع الإعلام الغازي، وتشعر الأمة بالاستفزاز والتحدي الذي يجمّع طاقاتها ويبصرها بطريقها ويساهم بصمودها، تحولت إلى وسائل هدم تساهم بتكسير أسلحة الأمة وإلغاء حدودها الفكرية والثقافية لتمكن لمرور «الآخر»، وقد تتجاوز أكثر من ذلك حيث تصبح أداة «للآخر»، فتبرز

العمالة الإعلامية اليوم كحال العمالة الثقافية والسياسية والاقتصادية في مراحل تطور الدولة التاريخي.

إنه طور من الاستعمار الإعلامي في الدول المتخلفة، وعلى الأخص في كثير من الدول الإسلامية التي وصلت الأمور أو كادت تصل في كثير منها إلى المرحلة الأخطر وهي مرحلة الغزو الإعلامي الذاتي.. وهذا الطور وإن كان جديداً أو أكثر وضوحًا على المستوى الإعلامي اليوم، فهو مسبوق بالغزو الثقافي والحضاري الذاتي الذي سبقه ومهد له، إذ لم تعد الدول المهيمنة بحاجة إلى الزج بنفسها في المعارك الثقافية والحضارية والإعلامية طالما هي قادرة على صناعة من يقوم بالدور بالنيابة عنها من أهل البلاد أنفسهم، لأن ممارستها المعلنة قد تؤدي إلى الاستفزاز واستشعار التحدي والمساهمة بيقظة الأمة.

وقد سبق هذا الطور إقامة مؤسسات إعلامية وثقافية، أو دول إعلامية بالمعنى الأدق، خارج الحدود، لتصب منتجاتها الإعلامية داخل الحدود الجغرافية، بحيث يتم تحضير المجتمع لما يراد له.

ونستطيع أن نقول: إن الإعلام اليوم يتجه إلى سلب الإرادة والدخول في لون من الجبرية الإعلامية والثقافية، وإن كثيراً من المصطلحات المبهمة والموهمة تقودنا خلفها دون إدراك كامل منا لحقيقتها وتداعياتها والآثار المترتبة عليها، بحيث أصبحنا نعيش في معسكرات الأسر الإعلامي، أو حقبة الاسترقاق الإعلامي.

ومع ذلك بالإمكان القول: إن هذه الوسائل أو التقنيات الإعلامية المتطورة والمتسارعة بشكل مذهل، بمقدار ما تشكل لنا مشكلة وإصابة بمقدار ما تمنح لنا حلاً وإمكانية.. وبمقدار ما تشكل لنا نقمة، بمقدار ما نستطيع تحويلها إلى نعمة، لو قدرنا على استيعابها وكيفية التعامل معها، إذا أحسنا القراءة، ووضعنا الأبجدية الصحيحة لقراءتها.

والمستقرئ لتاريخ هذه الأمة، يرى أن عمليات الاستعمار والاستفزاز والتحدي، واستهداف عقيدة الأمة وقيمها ومقدساتها، التي يراد منها موت الأمة، كثيراً ما كانت سبباً في إحيائها وإثارة معاني الخير فيها، فرُبَّ ضارة نافعة.. لذلك نجد كثيراً من التحديات التاريخية والعقوبات التي وقعت على الأمة المسلمة بسبب معاصيها، كانت السبب في العودة إلى الذات، والتشبث بالأصول، والاهتمام بالتاريخ والتراث، وكانت السبب الأساس في العودة إلى الانتماء للإسلام والالتزام بأحكامه، والشعور بالاستعلاء الإيماني حتى في أشد مراحل الهزيمة، الأمر الذي لا يمكن أن تحققه مئات الكتب والخطب والمواعظ.

لكن يبقى المطلوب: كيف نخاطب العقل وندعمه بفقه الواقع، ونفيد من العبرة التاريخية، ونجيِّش المشاعر، ونلهب العواطف، لتتوجه جميعًا صوب حماية قيم الأمة وتنميتها، وتحويل هذه السموم الناقعة إلى أدوية؟!

إن حسن قراءتنا لهذه التحديات، وتبصير الأمة بها، ونقل الأمة من موقع التلقي والعطالة وحالة الانهيار والاستسلام، إلى موقع استشعار التحدي، سوف يجعل من هذه التحديات محرضات حضارية، ومفاعل خير، ومنجم عطاء.

كما يجعل من هذه الوسائل الإعلامية سبلاً لحمل رسالة الإسلام ونشره على مستوى العالم.. إن إلغاء الحدود والسدود وامتلاك القدرة على الوصول إلى جميع أنحاء العالم هو في صالح الإسلام، ذلك أن أحد مسوغات الجهاد إزالةَ العوائق أمام انتشار الإسلام، لأن الإسلام رسالة الإنسان العالمية، القوي بذاته، القادر على التأثير والامتداد

لذلك فقد يكون صحيحًا إلى حد بعيد القول: إن المغلوب مولع بتقليد الغالب في جميع جوانب حياته، وعلى الأخص عندما يكون فقيراً يعاني الفراغ أو القابلية التي تسمح باحتلال «الآخر»، لكن وإن صدق هذا في معظم مراحل التاريخ السياسي والاقتصادي والثقافي، فإنه أكثر صدقًا في مجال الغلبة الإعلامية التي نلحظ آثارها الواضحة اليوم، حيث يسود التقليد والمحاكاة ورجع الصدى، وتعجز كثير من الأمم على النمو الذاتي، وحتى معرفة أبعاد ومشكلات وحاجات الذات.

لكن الصحيح أيضًا أن هذه السنة أو القاعدة بإطلاقها، لم تصدق تاريخيًا ولا واقعيًا على عالم المسلمين، حيث كانت عقيدة المغلوب بكل

منتجاتها الثقافية والأخلاقية والإدارية والاقتصادية والتشريعية أقوى من جنود الغالب.. لقد استطاعت الأمة المسلمة تاريخيًا، من خلال ما تمتلك وتتحصن وتتمنع به من عقيدتها وحضارتها وتجربتها التاريخية، أن تستوعب كل الموجات العاتية وتهضمها وتحولها إلى طاقات ووقود حضاري لمسيرة الأمة وحملها لرسالتها.

لقد قلبت المعادلة في الساحة الإسلامية، وتغيرت السنة التي ظن لها الاطراد، وانقلب السحر على الساحر، فأصبح الغالب مولعًا بمحاكاة المغلوب وتقليده والإفادة منه، فانقلب العدو اللدود إلى صديق وأخ ودود، تحول من العمل على هزيمة الإسلام والمسلمين إلى نصرة الإسلام والمسلمين.. وهذه سنة ماضية، لأن الأمة المسلمة حاملة الرسالة الخالدة لا تنطلق من فراغ، ولا تعيش فراغًا يمكّن من امتداد «الآخر»، وإنما هي قادرة على العطاء في كل حين، في حالات غياب الدولة المسلمة، أو انكماشها، حيث يبرز دور الأمة ونخبها وطوائفها القائمة على الحق.

ويبقى المطروح: كيف تتحول هذه الوسائل الإعلامية المذهلة إلى انتشار الإسلام وانتصاره؟ ذلك أن الرفض والإدانة وإدارة الظهر للأمور، وعدم التفكير بكيفية التعامل معها، ولها هذا الحضور الكبير، نوع من الغيبوبة الممهدة للوفاة.

ولعل في امتداد الإسلام وانتشاره واعتناقه في أكثر الدول قوة وحضارة ومدنية اليوم، وأكثرها تخلفًا وجهلاً وبداوة، ابتداءً من إفريقيا ومرورًا بأوربا وأمريكا، لخير دليل على امتلاك الإسلام القدرة والإمكان الحضاري، حتى ولو طغى السيل وارتفع الزَّبَد الإعلامي، الذي وصل إلى مراحل مخيفة ورعيبة من القدرة على جعل الحق باطلاً والباطل حقًّا.

وهنا قضية على غاية من الأهمية، قد يكون من المفيد التوقف عندها قليلاً، لأنها قد تشكل إصابة بالغة تلحق بالأمم في حالات العجز والتخاذل والتخلف وسيادة الذرائعية وعقلية التسويغ والتبرير والفهم الأعوج والتدين المعوج، وهي الظن بأن الله سبحانه وتعالى الذي تعهّد بحفظ هذا الدين، ليس بحاجة لنا ولنصرتنا، فللبيت رب يحميه؟! وهي حالة من الفهم المعوج وتسويغ التخاذل وانطفاء الفاعلية، تناقض العقل والوحي والتاريخ وفهم خير القرون.

ذلك أن هذا الدين إنما يُحفظ وينتصر وينتشر من خلال عزمات البشر وسنن الله في الأنفس والآفاق الجارية في السقوط والنهوض، واستشعار المسؤولية، وتقديم التضحية والاستشهاد في سبيله، والمغالبة الحضارية، وإعداد القوة في المجالات المتعددة، ودخوله الحياة من كل أبوابها، والمجاهدة في تصويب مسيرة الأمم والشهادة عليها، والقيام بشأن الدعوة والبلاغ المبين، وعدم انتظار السنن الخارقة التي تعفي فلسفتها

والترويج لها الإنسانَ من أي مسؤولية وفاعلية، وتنتهي به إلى ضروب من الإرجاء وموت الحس بالتحدي والاستفزاز.. ونحن هنا لا ننفي السنن الخارقة وقدرة الله على أن يقول: كن فيكون، وإنما نؤكد على السنن التي تعبّدنا الله بها، وهي السنن الجارية، حيث إن الله جعل مفاتيح التغيير وعوامل القوة ومغالبة قدر بقدر ودليل الوصول إلى ذلك بأيدينا، وهذا لا يناقض إرادة الله، في أن كل إنسان ميسر لما خُلق له، وإنما يعني أن الله صاحب الحكم والأمر والإرادة المطلقة، هو الذي أراد لنا أن نريد، وأن نقدّم، وأن نفكّر، وأن ندبر، وأن نتعامل مع الحياة بعقولنا وإرادتنا وعزائمنا في ضوء هدايات الوحي وتطبيقاته في فترة النبوة المعصومة والخلافة الراشدة المشهود لها من المعصوم، حيث لم يتخاذل الصحابة وجيل خير القرون في معركة أو موقف بحجة أن الله سينصر دينه ويقيم شرعه.

ولقد تسارع الصحابة رضي الله عنهم لكتابة القرآن وحفظه بعد التحدي الكبير في معركة اليمامة واستحرار القتل بالقرّاء، ولم يفهموا من قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩)، الإعفاء من المسؤولية.. وهكذا كانت سائر أحوالهم.

هذا جانب من القضية، والجانب الآخر هو مظهر الهزيمة النفسية واليأس والانتهاء إلى حالة الاستحالة وذهنية الاستحالة، التي تؤدي إلى السقوط أمام «الآخر»، وافتقاد أية قدرة على توظيف حتى الإمكانات

المتاحة، والاستسلام الكامل، حيث تصبح قوة «الآخر» وقدراته لا تقاوم ولا يمكن الوقوف أمامها ولا التعامل معها بأضعف الإيمان، فيكون التوقف والتراجع والجمود والموت، وتحويل المدن إلى مقابر، والحياة إلى متاحف، وتنطفئ الروح.

وليس أقل من ذلك خطورة غياب استشعار التحدي وشيوع ذهنية الاستسهال وعدم استيعاب وحسن تقدير الأمر وإعداد العدة المطلوبة لذلك، والظن بأن القضايا الكبرى يمكن أن تعالج بحماس، أو رفع صوت، أو رغبة صادقة، أو خطبة عصماء، أو التوهم أن الجرأة في الإقدام على موقف دون إدراك لتداعياته وامتلاك لمقوماته، وبذلك تتحول الطاقات العمياء والتضحيات العشوائية الجاهزة دائمًا للاستثارة لصالح العدو، وتفتح النوافذ المطلوبة لرؤية العدو لمكامن ضعفنا، وتبصيره بكيفية القضاء علينا، ويصبح حالنا كحال ذلك السائل للرسول ﷺ عن تحديد موعد يوم القيامة، بقوله: «متى الساعة؟»، ويكون جواب الرسول ﷺ بإعادته إلى صوابه وموطن فاعليته بقوله: «**ماذا أعددتَ لها؟**».

وهذا الأمر أو هذا الجواب، هو المطلوب لحالنا التي نعاني منها، حيث يبقى السؤال الكبير: ماذا أعددنا لقضايانا حتى نكون في مستوى إسلامنا وعصرنا، فنتصرف في حدود إمكاناتنا المتاحة، وفي ضوء الظروف المحيطة بنا؟

وقد تكون المشكلة، كل المشكلة -كما أسلفنا- في غياب مبدأ التفكير الاستراتيجي أو وجود الخطة الاستراتيجية التي تتحدد في ضوء الإمكانات المتوفرة والظروف المحيطة، ووضع المنهج الصارم لعدم الخلط بين الإمكانيات والأمنيات، وهذا لا يتأتى في المجالات جميعًا إلا بالإحاطة بالقضايا المطروحة، وبالإمكانات المتاحة، وبالظروف المحيطة، وبالزمن المطلوب، وبالاحتمالات المتوقعة.

ومعالجة المشكلة -فيما أرى- تبدأ من الوقوف على طريق الحل، والمبادرة إلى تصويب إيماننا في التعرف إلى مقتضياته وإحياء فروض وتكاليف الكفاية في حياة الأمة.

إن فهم فروض الكفاية حق الفهم، كفيل باستنقاذ الأمة من وهدتها، ذلك بأن الأمة لا تخرج من العهدة والخلوص من الإثم ما لم تقم بهذه الفروض، أي تؤديها على الوجه الأكمل، وليس يعني ذلك مباشرتها فقط دون القيام بها ومن ثم الإيمان بأن النهوض رهين بالتخصص وتقسيم العمل، بحيث يتحقق لنا الإتقان والإبداع، وتتكامل المواقع، وتتعدد الأدوار، فلا تعالج المشكلة بالتمني والخطب والحماس، وإنما بالجهد والصبر والفهم، والممارسة العملية والاجتهاد، والخطأ والصواب، وهندسة الطاقات، وإحياء القابليات، ووضع تخطيط علمي وموضوعي وذكي للتخصصات، وتخطيط التعليم في ضوء متطلبات المجتمع ومؤشرات نموه

المستقبلي، وتخليص الأمة من التحشيد الكلامي الذي يصنع الرجل الملحمة الذي يدعي كل شيء.. تخليص الأمة من الأنصاب والأوثان البشرية، والتحول من الأشخاص إلى القيم والأفكار.

ذلك أن نقل القدسية والعصمة من القيم والمبادئ إلى الأشخاص التي يحملونها، على ما يجري عليهم من إمكانية الخطأ والصواب، سوف يؤدي إلى التباس الأحوال، وضياع المعايير، وضلال الرؤية، حتى تصل القضية إلى مرحلة لا نحسد عليها، فيصبح أي تخطيئ أو نقد أو تقويم للشخص أو للشيخ يعني اعتداءً على الإسلام وتخطيئًا له، وهنا تبدأ مرحلة السقوط، حتى لو توهمنا العافية، والوقوع في علل الأمم السابقة، الذي انتهت معه قيم الدين إلى الأشخاص الذين يمثلون أو يتحدثون باسم الله، فيحلّون ويحرّمون ما يروق لهم.

إن غياب إدراك أهمية فروض الكفاية والإيمان بالتخصص وتقسيم العمل، سيؤدي إلى بروز الرجل الملحمة الذي يتطاول على كل شيء ويدعي المعرفة بكل شيء، ولا يعتذر عن الإجابة عن شيء، ولا يعتذر عن خطأ وقع منه، فيبدو وكأنه المعصوم ويحتل مرتبة فوق مرتبة النبوة، وذلك على الرغم من رفع الشعارات الموهمة أو المخدرة وقراءة النصوص القرآنية التي تدعو إلى التخصص والعلم والإحاطة، والنهي عن أن يقفو الإنسان ما ليس له به علم، وأن الرجال يُعرفون بالحق، وأن الحق لا يُعرف

بالرجال، لكنها جميعًا صارت شعارات وليست شعائر يعيشها المسلم ويمارسها ويلتزم بها.

ولعل من أخطر المواقع اليوم -كما أسلفنا- هو الموقع الإعلامي تخصصًا وتأثيراً، فهو علم وفن وتخصص، وليس ادعاءً وتطاولاً، أو بعبارة أدق: هو ثمرة لمجموعة تخصصات متعددة ومتنوعة.

وقد لا تكون المشكلة دائمًا بالمدعين والمتطاولين على ما يحسنون وما لا يحسنون، وإنما بالمجتمعات المتخلفة الفاقدة للرؤية والمعيار، التي يصعب عليها التمييز، لذلك تبرز من خلالها قيادات إعلامية خائبة، وتصبح هذه المجتمعات مجالاً لكل مدعٍ للطب والعلم والدين والسحر والشعوذة والخوارق.. .إلخ، حيث لا يزال يصدق علينا، وعلى معظم المجتمعات المتخلفة في المجال الإعلامي وغيره، المثل أو القاعدة السائدة في مجال الاقتصاد: «دكان القرية سوق المدينة»، لأننا ما نزال نعيش في مرحلة دكان القرية، فصاحبها يبيع كل شيء، ويكدس كل شيء، من الأغذية والأحذية والقماش والأدوات المنزلية والمبيدات الحشرية ومواد الاشتعال وغيرها، ويدعي كل شيء.

فالزعامة تكون للأعلى صوتًا، والأسمك حنجرة، والأكثر ادعاءً، والأقدر تطاولاً، وليس للأعلم والأكثر تخصصًا.

وعلى الرغم من كل هذا الواقع، فإن ما نمتلكه من وسائل الإعلام، كمًّا وكيفًا، وما نمتلكه من نماذج الخطاب في الكتاب والسنة، وما نرتكز إليه من التجربة الحضارية التاريخية، وما نحمله ونتميز به من رسالة محلها ورصيدها الفطرة الإنسانية، يناقض تمامًا هذه الحقيقة الْمُرّة التي انتهت الأمة إليها، ويشكل شاهد الإدانة لهذا الواقع الإعلامي الذي نحن عليه.

إن المنبر الذي اتخذه الرسول القدوة ﷺ وكان أحد مقومات المجتمع الإسلامي في فترة التأسيس، منذ الخطوات الأولى للدولة المسلمة والمجتمع الإسلامي، قد مضى على عمره أكثر من أربعة عشر قرنًا، من حيث العمق الزماني والتاريخي، وإن مساحة ما تمتلكه الأمة المسلمة اليوم من المنابر والمساجد المنتشرة في هذه المساحات الهائلة من العالم الإسلامي والعالم، والمزروعة في باطن المجتمع وجنباته المتعددة، وقراه وأمصاره، إضافة إلى هذه الطاقات والكتل البشرية من جمهور المتلقين الذين يحضرون إلى الاستماع والإنصات طائعين مختارين، يعتقدون أن الاستماع والفهم والاستيعاب جزء من الدين، وأصل في التدين الصحيح، وما تضخه المحاريب من التلاوة لآيات القرآن الكريم، محور المجاهدة ومنطلق العقيدة والرسالة، خمس مرات في اليوم والليلة، وما يحمله البيان النبوي من جوامع الكلم والبلاغ المبين الذي يمثل دليلاً وأسوة، قمين بأن يحقق لنا ما نصبو إليه، وينتشلنا مما نعانيه.

إن هذا المخزون الإعلامي والدعوي العظيم، على مستوى الفكرة والوسيلة والعمل التاريخي والمساحة الأفقية، يشيرُ إلى حد بعيد إلى القدرات التي نملكها ونتميز بها، إلى درجة يمكن القول معها: إننا ما نزال نمتلك، رغم التخلف والعجز والحصار والغزو الإعلامي، من الإمكانات الإعلامية المؤثرة، أكثر بكثير مما يمتلك غيرنا من أي أمة من الأمم، لكن هذه المنابر والمواقع الإعلامية تعاني اليوم من العطالة والإصابة البالغة والجمود والتيبس القاتل.. لقد انطفأت فاعليتها وخبا نورها، وأصبحت وسائلنا الإعلامية ومنابرنا عبئًا علينا بدل أن تكون سنداً لنا، ومع ذلك نرفع أصواتنا بمر الشكوى من وسائل الإعلام وما تحمله لنا من السلبيات والإصابات، وكيف وراءها اليهود والصليبيون وأعداء الدين، الذين يتآمرون علينا صباح مساء، وبذلك ندع ونعطل ما نملكه، ونتطلع إلى ما يملكنا، فيزداد عجزنا وتتعمق مأساتنا.

وما أعتقد أننا بما يتوفر لدينا من تخصصات إعلامية حقيقية –هذا إن وجدت– قادرين على تغطية بعض أجزاء أو أزمان المسألة الإعلامية، إلا إذا ظننا أن الإعلام أن نقف خطباء إذا كتبنا، أو إذا تحدثنا، أو حاورنا، أو ناظرنا، أو حاضرنا، أو مارسنا التربية والتعليم، وكذلك سائر الأوعية الإعلامية الأخرى.

والناظر فيما يسمى الإعلام الديني والإسلامي في إطار الصفحات الدينية في الجرائد، مضمونًا وإخراجًا، وبعض البرامج الدينية في الإذاعة والتلفزيون، لا يفاجأ كثيراً بالحال التي نحن عليها، علمًا بأننا أمة القرآن الكريم، الذي كان محور البلاغ المبين، ووسيلة مجاهدة «الآخر»، قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٢)، وكان غاية ما يملكه الكفار محاولة الحصار الإعلامي للقرآن، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ (فصلت: ٢٦).

إن القرآن الكريم الخالد المجرد عن حدود الزمان والمكان، يمتلك صفة الهيمنة في العقيدة والعبادة والتشريع والثقافة والإعلام، كما يمتلك من خصائص ومواصفات الخطاب الإعلامي ما يحقق له خاصية حماية الذات، واستنقاذ «الآخر» وإلحاق الرحمة به، لو أدرك المسلمون أبعاد هذا الخطاب وكيفية التعامل معه والقبس منه.

لقد ارتكز الخطاب الإعلامي في القرآن والبيان النبوي على العقل، وانطلق من الوحي، وتوجه صوب الفطرة الإنسانية، واستخدم الأسلوب البياني والبرهاني والعرفاني، ووثق طروحاته بشهادة الواقع، وأفاد من عبرة التاريخ ومسيرة الأمم السابقة، وعرض مشاهد لواقعها في العقيدة والسياسة والتشريع والفكر والثقافة والعادات والأخلاق والتوارث الاجتماعي، ووظف لذلك -كما أشرنا- القصة، والحوار، والمناظرة، والمباهلة،

والمناقشة، والمثل السائر، والعواقب التي أفضت إليها المقدمات، كشواهد على صدقية المعالجة والدعوة. وجاء الخطاب القرآني ثمرة للإحاطة بحال المخاطَب من كل جانب.. ولم يكتف القرآن برصد واقع المخاطَبين وتحديد أسباب إصاباتهم، وإنما تجاوز إلى الكشف الواضح والصريح عن عقائدهم وأفكارهم وطوايا أنفسهم، ليوافق الكلام مقتضى الحال، وليوضح السنة المطردة وقانون حركة التاريخ التي حكمت حياتهم.

لذلك نجد القرآن اهتم بفن صياغة الكلمة، وفن اختيار الكلمة المناسبة، وفن اختيار الوقت المناسب، والتوجه بذلك صوب الإنسان المناسب، وأخذ بمبدأ التدرج في التربية وبناء اللبنات الفكرية والتشريعية.. كما نجد أن مواصفات الخطاب القرآني، الذي استخدم جميع وسائل التعبير وأساليبه، تعامل مع المخاطبين بحسب طبيعة الحال وهدف المعالجة التي يتوجه إليها الخطاب، فخطاب الدعوة، له مواصفاته وخصائصه وهي: الدفع بالتي هي أحسن: قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ (فصلت:٣٤).. الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ (النحل:١٢٥).. والقول اللين، قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (طه:٤٤).. وخطاب المجادلة له مواصفاته، وخطاب المباهلة له مواصفاته، وخطاب العقيدة له براهينه

ومقتضياته، وخطاب المعركة له أساليبه وإثاراته ومحرضاته، وخطاب التعبئة النفسية والإعداد له مقوماته، وخطاب الحوار له مجالاته وطرائقه.

حتى لنكاد نقول: إن الكثير من جوانب المشكلة الدعوية والإعلامية اليوم، هو في هذا الخلط في الأسلوب المطلوب، والتداخل والالتباس الرعيب بين مواصفات خطاب الدولة، وخطاب الأمة، وخطاب الدعوة، وخطاب المعركة، وخطاب التربية، وخطاب التشريع، وخطاب العقيدة، والخطاب الاجتماعي.

لقد خاطب القرآنُ الإنسانَ كله، بعقله وعواطفه وفطرته، ومصلحته ومقاصده، وتاريخه ومصيره، بما يوقظ وعيه بشكل عام، وليس إيقاظ عقله أو عواطفه فقط، وعرض نماذج لطبيعة المجتمعات الذي توجه إليها الخطاب، ومعاناتها، بلغت من المساحات التعبيرية ما لا يقل عن طرح مبادئ الإسلام وقيمه.

لقد بيّن القرآن الكريم عقائد هذه المجتمعات، التاريخية والحاضرة، وعاداتها ومشكلاتها الاجتماعية، أي أن الخطاب انطلق في تعاطيه مع «الآخر»، من فهم هذا «الآخر»، فجاء الخطاب مطابقًا لمقتضى الحال وليس رسمًا بالفراغ.

فكيف سيكون الحال لو استوعب المسلمون مواصفات الخطاب في القرآن، وكانوا في مستوى إسلامهم وعصرهم من الناحية الإعلامية؟

وقد يكون بعض جوانب المشكلة التي نعاني منها، والتي جاءت ثمرة لانسلاخنا الثقافي والإعلامي عن الإسلام، هذا الانفصال الرعيب بين وجود تدين وإخلاص وتوثب بدون تخصص من جانب، ووجود تخصص فاقد للمرجعية والرؤية الشرعية، التي تمنح المعيار والقدرة على بلورة رؤية أو فلسفة إعلامية، منطلقة من قيمنا في الكتاب والسنة، من جانب آخر.. رؤية محققة للهدف ومقاصد الشريعة، ومتسلحة بالوسائل والتقنيات الإعلامية، قادرة على الاستنبات بدل الاستيراد، والإبداع من خلال الذات بدل التكديس والتظاهر الإعلامي.

وهنا لابد أن نقول: بأن الكثير من المؤسسات الأكاديمية الموجودة في العالم الإسلامي، المسكونة بثقافة وحضارة «الآخر»، ما تزال رهينة لكتابه ومنهجه ومرجعه وخريج معاهده، والافتتان بالتقدم الرهيب على مستوى الصوت واللون والصورة، لم تستطع أن تقدم شيئًا يذكر، لقد قدمت محاولات مدبلجة لا تسمن ولا تغني من جوع، واحتمت بالأسوار والتقاليد الأكاديمية، لتحول دون النقد والمراجعة والتقويم، وكأن مفهوماتها مقدسة لا تمس، حتى ولو تحولت إلى استنقاع الأمة وتكريس تخلفها.

ونرى أنه لابد أن نذكر أن انتماء الإنسان للإسلام أو لمؤسسات وجماعات إسلامية، لا يمنحه المرجعية الشرعية ومن ثم القدرة على إبداع رؤى إسلامية مقدورة، بل قد يقع ويوقع الكثير من المتلقين، سواء كانوا

من الطلبة أو من الجمهور، بحفر يصعب ردمها وتجاوزها. .وحتى نستطيع ردم هوة التخلف والفصام بين تدين بلا تخصص، وتخصص بلا تدين سليم، لابد أن تبرز في حياتنا الإعلامية، كما هو الحال في المسألة الاقتصادية والمصرفية، مؤسسات تشكل العقل الجماعي المتكامل، من شتى التخصصات، تمارس في أجوائها المفاكرة والمشاورة والمثاقفة والحوار والتخطيط والتقويم ودراسة الجدوى لأعمالنا في المجالات المتعددة، حتى نسترد حياتنا الإسلامية بشكل صحيح، ونقضي على ذلك الفصام الخطير، وننطلق إلى سائر التخصصات في شعب المعرفة من مرجعية شرعية، تكون معرفة الوحي فيها المعيار والمنطلق والإطار المرجعي.

ولئن كان مفهوم الفلسفة يعني اليوم من بعض الوجوه، النظر لإنتاج العقل والعلم بالعقل، فإن العقيدة تعني من كل الوجوه النظر بالوحي لإنتاج العقل والعلم.

والكتاب الذي نقدمه، يعتبر إحدى المحاولات لبلورة رؤية إعلامية، وتحديد بعض الملامح والمعالم الرئيسة للمنهج الإسلامي في الإعلام، ذلك أن الجهود التي تناولت المنظور الإسلامي للإعلام بما فيها ما يطلق عليه: «الجهود الأكاديمية»، لا تزال متواضعة لا ترقى إلى مستوى المنبر الإسلامي المطلوب، ولا تحقق الاضطلاع بمهمة البلاغ المبين، كما أنها لا ترقى إلى مستوى العصر، بكل عطائه وتقنياته الإعلامية، وكأن الإعلام في عالم المسلمين ما يزال يعاني غربة الزمان والمكان.

ولعل السبب في ذلك اتساع فجوة التخلف بين الماضي المشرق والواقع المتخلف، شأنها في ذلك شأن الفجوة القائمة بين ما يسمى الإعلام الإسلامي -تجاوزاً- والإعلام العالمي، حتى انتهى عالمنا الإسلامي إلى موقع التلقي لكل ما يُصَبُّ عليه، بحيث تكاد تكون معظم مشاركاته تمثل رجع الصدى للإعلام العالمي، وإعادة إنتاجه وإرساله.

وما لم نحي فروض الكفاية في الحياة الإسلامية، ونخطط لتحصيل الاختصاص في شعب المعرفة جميعها، ويتم تقسيم العمل، وتتكامل الأدوار في بناء العقل الجماعي، الذي يمتلك الحواس الاختصاصية جميعاً، ونخلص من مركب النقص الذي يقود إلى الادعاء والفخر المخدر، لتعويض هذا المركب، وما لم نتخلص من عقدة الرجل الملحمة الذي يدعي العلم والفهم في كل شيء، فسنبقى نراوح في مكاننا، إن لم نكن نتراجع.

فالإعلام علم وفن، بل هو ثمرة لمجموعة علوم اجتماعية وإنسانية، والأمة المسلمة تمتلك القيم من عطاء الوحي في الكتاب والسنة، التي تشكل لها المعيار الذي يمكنها من الإفادة من الإنتاج الإعلامي العالمي دون إصابات.

وإذا عرفنا أن الحوار الحضاري، أو الصراع الحضاري، ميدانه الإعلام وسلاحه اليوم الإعلام، الذي بدأ يحتل السماء والأرض، ويرسل شبكته

العنكبوتية (الإنترنيت) لتحيط بالإنسان وتحاصره من كل جانب، لتشل حركته الذهنية، والتحكم به من قِبَل الأقوىٰ، وأن الناس على دين إعلامهم -كما يقال- أدركنا المخاطر الكبيرة التي تنتظرنا على أعتاب القرن الحادي والعشرين، حيث لابد من المسارعة في فتح ملف الإعلام، وإعادة مراجعته وتقويمه وتنسيق الجهود، ووضع ولو خطوة صحيحة على الطريق، قادرة على توظيف وسائل وفنون الإعلام المعاصرة، حيث تبقى الكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، إذا أحسنا تقديمها.

فالمعركة اليوم -فيما أرىٰ- سوف يحسمها السلاح الإعلامي، والجهاد الإعلامي، أو البلاغ المبين، الذي يمثل غاية رسالة الإسلام ومهمة الدعاة.

ولعل هذا الكتاب يضع لبنة على طريق البناء المأمول، ويفك بعض القيود الذهنية التي لحقت بالوسائل التي أساسها التطور، ويصلح بعض الخلل والعطب الذي لحق بأدوات توصيل الإسلام إلى الإنسان، وتحقيق الانفعال به، وتخليصه من حياة الضنك، وتخليصه من العبودية، وتسلط الإنسان على الإنسان، والعودة به إلى الله عبداً متحرراً من جميع الوثنيات.

والله غالب على أمره.

مقدمة

تشهد الساحة العالمية المعاصرة مجموعة من الأعمال العلمية والفكرية، تناولت الإسلام من مختلف جوانبه، إلا أن الدراسات المتعمقة والبحوث العلمية التي تناولت الإعلام في المنظور الإسلامي، لا تزال محدودة ومتواضعة، على الرغم من المحاولات المخلصة التي بذلها عدد من الباحثين، مستهدفين من وراء ذلك تحديد المعالم الأساسية لهذا المنظور، كما أن المنهج الإسلامي في الإعلام لم يأخذ طريقه بعد إلى حيز التطبيق العملي، بسبب غياب الاستراتيجية وعدم وضوح الرؤية.

الحقيقة أنه إذا لم تستثمر خطط الدعوة الإسلامية المعطيات العصرية في وسائل الإعلام ونظم المعلومات، فإنها سوف تخسر الكثير من أسباب النجاح وعوامل الانتشار والتأثير.. كما أنه إذا أغفلت الكليات والمعاهد والمراكز المتخصصة في تأهيل دعاة الإسلام، تزويد الدارسين فيها بعلوم الإعلام والاتصال بالجماهير، فإنها بذلك تكون قد قصرت في حق دارسيها فحجبت عنهم أساليب العصر الحديثة وتقنياته.

وتأسيسًا على ذلك، فإن معاهد إعداد الدعاة وكليات الدعوة الإسلامية، لابد أن تضم إلى مناهجها علومًا أكاديمية وتطبيقية في الإعلام، ليتعرف الدعاة على هذا الفن، ويتمكنوا من توظيف التكنولوجيا الحديثة، لتحقيق أهداف الدعوة، بعد أن سيطرت وسائل الاتصال على إنسان العصر، وأصبحت تحاصره صباحًا ومساءً، ولا تكاد تفارقه ليلاً أو نهارًا، أي أن مخاصمتها أو الإعراض عنها يعد ضربًا من الخيال والاصطدام بالواقع، والتخلف عن مجريات الأحداث، وهو ما لا نرضاه لهؤلاء الذين يحملون رسالة الحق في ظل إيقاع الحياة المعاصرة.

وإذا كنا نعمل جاهدين لاستكشاف أعمال المفكرين المحدثين في ميادين الإعلام المختلفة، فإنه يجب أن نشحذ الهمم لدراسة الرؤى الإسلامية التي تحكم النشاط الإعلامي، ذلك أننا إذا أعطينا هذه الدراسات حقها، فإننا سوف نخلص بحقائق تتضائل إلى جانبها ما أفرزته أدمغة هؤلاء المفكرين، وسوف نستطيع تحديد مرجعية عقدية سليمة لهذا النشاط تغنينا عن البحث في الفلسفات الأخرى، وتحقق لنا السيادة والسيطرة على سمائنا وأرضنا.

والإعلام الدعوي وهو يقف على أعتاب القرن الحادي والعشرين، لابد له من إعادة تقييم نشاطه، وتنسيق جهوده، لمواجهة واقع مرير يفرض نفسه على الساحة الدولية.. لقد آن الأوان في ظل التحديات المعاصرة، أن ينطلق الإعلام الدعوي لكي يحقق أمل الأمة في التوحد بعد طول تمزق، وفي التقارب بعد طول تباعد، وفي التكاتف بعد طول تناحر، وفي تقديم صورة أمينة وصادقة عن الإسلام إلى العالم، بعد الاضطراب الذي ساد الساحة الدولية، التي لم يعد فيها مكان لأصحاب الأصوات الخفيضة والجهود الكليلة.. إن صوت الإسلام لابد أن يكون جهيراً في مواجهة الآلة الإعلامية الجهنمية، التي تديرها المنظمات الصهيونية والتنصيرية والإلحادية، التي تستهدف الإساءة للإسلام وأهله.

وهذه الدراسة التي نحن بصددها الآن، ما هي إلا محاولة علمية لتحديد معالم المنهج الإعلامي في المنظور الإسلامي، وفلسفة هذا المنهج، والأسس التي يقوم عليها، وأصوله وأساليبه وقواعده، بهدف تحديد أصول العلاقة التي تربط بين الدعوة الإسلامية والإعلام المعاصر، وتمييز الهوية الإسلامية للعمل لهذا المنهج، والعمل على وضع الحلول وتقديم المقترحات التي تمكّن الدعوة الإسلامية من الانطلاق بفاعلية،

لتحقيق أهدافها على مختلف الأصعدة وفي مختلف المجالات، وإعداد خطة علمية لدعوة الإسلام تنطلق من الثوابت الإسلامية، وتوظّف وسائل وفنون الإعلام الحديثة، وتلتزم بدستور المسلمين في منطلقاتها وخطواتها وأهدافها وضوابطها، حتى لا يظل الرأي العام العالمي جاهلاً بهذا الدين، فيقع فريسة لما تقدمه له المنظمات التنصيرية والإرساليات التبشيرية والحملات الصهيونية، بعد أن أصبح الجهاد بالكلمة من أفضل ألوان الجهاد في العصر الذي نعيشه.

وهذا يفرض علينا تناول الموضوعات التالية بصورة علمية وموضوعية متجردة في الفصول التالية:

الفصل الأول: الإعلام المعاصر وثورة الاتصال بالجماهير.

الفصل الثاني: الجهاد الإعلامي وتحديات العصر.

الفصل الثالث: الأصول الفلسفية والعقدية للعمل الإعلامي.

الفصل الرابع: النظام العالمي وإشكاليات الإعلام الإسلامي المعاصر.

الفصل الخامس: المنهج المميز للإعلام الإسلامي.

وأخيراً قدّمتْ هذه الدراسةُ الأطرَ والمعالمَ الرئيسة للعمل الإعلامي في المنظور الإسلامي.

الفصل الأول
الإعلام المعاصر وثورة الاتصال بالجماهير

أولاً: الاتصال بالجماهير ومعطيات العصر:

لم نعد بحاجة إلى أن نؤكد على الأهمية البالغة والمكانة الكبيرة التي يحتلها الإعلام في المجتمع المعاصر، وذلك بعد أن أصبح النشاط الاتصالي جزءاً رئيساً من الحياة اليومية للأفراد والجماعات المختلفة، وشريان الحياة في المجتمع البشري، سواء في الأنظمة الديمقراطية أو الشمولية... في البيئات الزراعية أو الصناعية... في المجتمعات المتقدمة أو النامية... فلم يعد المرء يستطيع الحياة دون الاتصال مع غيره من الناس، ودون مواكبة ما يدور حوله من أحداث، سواء على الساحة المحلية أو العالمية.

وفي غياب الاتصال بين الأفراد والجماعات الإنسانية، فإن العلاقات بينها تتجمد، ومعين الحياة فيها سوف ينضب، لأن الإنسان يمارس الاتصال في حياته اليومية بصورة تلقائية، منذ أن يستيقظ من نومه في الصباح وحتى يأوي إلى فراشه في المساء.

ولو لم يسع المرء إلى وسائل الإعلام، فإن هذه الوسائل سوف تسعى إليه لتقدم له ما يدور حوله من أحداث، وما أفرزته الأدمغة البشرية من

علوم ومعارف، لا سيما بعد أن فرضت التقنيات المعاصرة وثورة المعلومات نفسها عليه، وأعطته الفاعلية والقدرة على التغيير وتكوين الاتجاهات، فأصبح إنسان اليوم أسيراً لهذه الوسائل، تحاصره في كل وقت وفي كل زمان، فلا يستطيع الفكاك منها أو الحياة بدونها، أي أن إنسان اليوم أصبح يعيش ثورة إعلامية تحاصره من مختلف الجهات، وبمختلف اللغات، ليلاً ونهاراً، تحاول أن ترسم له طريقًا جديداً لحياته، وأسلوبًا معاصراً لنشاطه وعلاقاته.

وتتضاعف مكانة الإعلام المعاصر بعد أن حملت لنا الاكتشافات الحديثة والبحوث المعاصرة معطيات تقنية، ووسائل إلكترونية، وإمكانات إعلامية، لم تتح للأجيال التي سبقتنا، وهذه الفنون والأساليب الحديثة إذا أحسن توظيفها، فإنها سوف تسهم في تحقيق الرفاهية للبشرية جمعاء.

فالوسائل السمعية والبصرية والأقمار الصناعية وأجهزة الاتصال الإلكترونية الحديثة يسرت ذلك، ومكنت للتدفق الإعلامي من أن ينساب بتلقائية ويسر إلى أي مكان في العالم، حتى إن ما يدور في أقصى الشرق أصبح يسمعه ويراه القاطنون في أقصى الغرب في اللحظة نفسها.

كما أن التقدم العلمي الكبير الذي تم إحرازه في تقنيات العمل الصحفي والإذاعي (المسموع والمرئي)، مكّن النشاط الإعلامي من أن يشد إليه الجمهور، ويغريه بما يقدمه من أعمال درامية، وقوالب حوارية،

وفنون إخبارية وثقافية، مما استلفت انتباه الإنسان وشد اهتمامه بطرق الجذب وأساليب الاستمالة وفنون الإقناع المختلفة، وقد أضافت القنوات الفضائية وأقمار الاتصالات وثورة المعلومات بُعداً جديداً للنشاط الإعلامي، وأحاطت الإنسان من كل جانب بالعديد من روافد الفكر ومصادر المعرفة.

وفي الحقيقة أن وسائل الاتصال الجماهيري قد حققت قوة جذب وإبهار، أصبح معها من الصعب التمييز بين تأثير الوسيلة وتأثير الرسالة، كما يؤكد مارشال ماكلوهان في كتابه الشهير:

«The Medium is the Message»[١].

ومن ثم فقد أصبح لوسائل الإعلام قوة تأثير كبيرة في العصر الحديث، وأصبح الإنسان في كل يوم وفي كل مكان، سواء في العمل أو في المنزل أو في الشارع، يعتمد عليها كمصادر رئيسة للحصول على المعلومات، حتى إنه يصعب تصور العالم الآن في غيبة هذه الوسائل التي تمد الناس بسيل لا ينقطع من المعلومات والصور والأفكار، فحققت للإنسان ميزة لم تكن موجودة من قبل، حين جعلته يستطيع متابعة الأحداث والقضايا العصرية والاستكشافات العلمية أثناء حدوثها، كما مكّنت ثورة الاتصال المعاصرة الوسائل الإعلامية من الوصول إلى

(١) Marshal, Macluhan and Quentin fiore: The Medium is the Message, Victoria, Benguin Book Ltd, 1957.

ملايين الناس في اللحظة الواحدة، وأصبح الخبر يطوف المعمورة كلها في الوقت نفسه، حتى تحول العالم إلى قرية إلكترونية، وغدت الدنيا كلها في متناول بصر الإنسان وسمعه، ولم يعد الإعلام يقتصر على فئة معينة أو ينحو إلى تقديم معلومات خاصة، ولكنه أصبح قادراً على التوجه إلى الإنسان أيًّا كان وحيث يكون.

ولم يعد الحديث عن وجود مردود لهذه الوسائل على الفرد والمجتمع موضع جدل أو نقاش، ولكن الجدل والنقاش يدور حول كمية هذا التأثير ونوعه، وهل هو التأثير إلى الأحسن أو إلى الأسوأ[١].

قال أحد الأطباء الأمريكيين في جامعة (كولومبيا): «إنه إذا صح أن السجن هو جامعة الجريمة، فإن التلفزيون هو المدرسة الإعدادية لانحراف الشباب»، وهذا يعني أن كثيراً من المجرمين تعلّموا الجريمة من التلفزيون.. فقد أظهرت بعض الدراسات العلمية الجادة في أسبانيا، أن ٣٩٪ من الشباب المنحرفين تلقوا معلوماتهم التي استمدوها في تنفيذ جرائمهم من التلفزيون، وقد تطابقت نتائج هذه الدراسة مع النتائج التي أسفرت عنها الدراسات التي أجريت في العديد من بلدان العالم، التي كشفت أن غياب البديل السليم هو أهم العوامل المؤثرة في اندفاع الشباب نحو أفلام الجنس والجريمة ونحو ذلك.. فالشباب لا يبحث عن البرامج التافهة والخليعة إلا حينما يفقد البديل الصحيح، ومن ثم فإنه إذا تعوّد الصبية

(١) إبراهيم إمام: الإعلام والاتصال بالجماهير، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥م.

والشباب على هذه النوعية السيئة من البرامج، يصبح من الصعب بعد ذلك تحويلهم عنها، بعد أن ظهر حديثًا ما يمكن تسميته بالإدمان التلفزيوني، وقد بدأ المجتمع العربي المسلم يتحول نحو هذا الإدمان إن صح التعبير[١].

ويكفي أن نشير إلى دراسة أجرتها اليونسكو مؤخرًا حول معدلات التعرض للتلفزيون لدى الأطفال والصبية العرب، تبين منها أن الطالب قبل أن يبلغ الثامنة عشرة من عمره يقضي أمام التلفزيون اثنتين وعشرين ألف ساعة، في حين أنه في هذه المرحلة من العمر يقضي أربعة عشر ألف ساعة في قاعات الدرس.

وفي الوقت الذي كشفت فيه البحوث والدراسات العلمية المختلفة عن أن هذه الوسائل أصبحت من أقوى أسلحة العصر، وتتفوق على كل روافد الفكر ومصادر المعرفة، فإننا نسمع عن أصوات تهاجمها، وتطالب بعدم التعامل معها بسبب ما تحمله من سلبيات.. وفي الحقيقة، أن هذا يعد نوعًا من العجز وسوء الفهم والجهل بمعطيات العصر الذي نعيش فيه، لأن كونها تحمل شرًا أو خيرًا، فهذا أمر تحكمه السياسات والخطط الإعلامية.

ومن ثم فلا ينبغي أن ننفق الوقت في الهجوم عليها وتوجيه اللعنات لها، ولكن علينا أن نشحذ الهمم ونضع الخطط لاستثمار إيجابياتها

(١) أ.د. محمد عبده يماني، الإعلام الإسلامي في عصر الفضاء، مركز صالح كامل للدراسات الاقتصادية، جامعة الأزهر، ١٩٩٢م، ص٢٢٦، ٢٢٧.

ومحاصرة سلبياتها، لأنه أصبح من المستحيل تجاهلها.

وتلعب التكنولوجيا المعاصرة في وسائل الاتصال ونظم المعلومات، دوراً كبيراً في إحداث تغييرات جوهرية على حاضرنا ومستقبلنا، أردنا ذلك أو لم نرد، وسوف تترك هذه التغييرات آثاراً بارزة على البيئة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لمختلف المجتمعات، وتؤدي إلى خلق قنوات وطنية وعالمية لتبادل المعلومات ونقلها، من خلال توظيف أحدث الأجهزة الإلكترونية والمغناطيسية.

ثانيًا: التنسيق والتكامل بين مختلف الوسائل:

تؤكد الأبحاث الإعلامية أن لكل واحدة من وسائل الاتصال مقدرة خاصة على الإقناع، تزيد أو تقل عن غيرها من الوسائل الأخرى، بحسب الظروف والملابسات التي تحكم نشاط كل واحدة من هذه الوسائل، أي أن القدرات الإقناعية لمختلف الوسائل تختلف بشكل واضح من وسيلة إلى أخرى، وفقًا للموضوع الذي تعالجه، والجمهور الذي تتوجه إليه، والبيئة الاجتماعية والثقافية، إلا أن الجمع بين أكثر من وسيلة يحقق تأثيراً فاعلاً، ويضاعف عدد المزايا، ويمكن عملية الاتصال من تحقيق أهدافها(١)، لا سيما أن كل واحدة من هذه الوسائل تتميز بقدرات خاصة وسمات تميزها عن غيرها.

---

(١) Barnouw, Erik: Mass Communication, New-York, Rinhart and Company, 1950, P.6.

وهذا يعني أن نجاح عملية الاتصال يتوقف على حسن اختيار الوسيلة المناسبة في الوقت المناسب والظرف الاتصالي المناسب.. فالراديو وسيلة اتصال عالمية يستطيع تقديم الخدمة الإخبارية السريعة، ومخاطبة كل الفئات والطوائف مهما اختلفت درجات تعليمها أو مستوياتها الثقافية، كما أنه أقدر على التوجه إلى الناس في أي وقت وفي أي مكان، إضافة إلى تفوقه في خدمة جمهور نشط يؤدي عملاً يدوياً في نفس الوقت. ويتميز الراديو بقدرته على جذب المستمع والاستحواذ على اهتمامه، من خلال المؤثرات الصوتية والموسيقى والحوار، إضافة إلى قدرته على تحقيق المشاركة الجماعية في الاستماع لبرامجه[١].

أما التلفزيون فهو إذ يجمع بين الصوت والصورة والحركة واللون، فإنه يستطيع أن يسيطر على حاستين من أهم حواس الإنسان، وأشدها اتصالاً بما يجري في نفسه من أفكار ومشاعر، وهما حاستا السمع والبصر، وهو إذ ينقل إلى المشاهد الأحداث الجارية بكل ما فيها من معان وانفعالات ، فإنه يربط بينه وبينها، وهو إذ يقدم للمشاهدين معلومات جديدة سواء في محيطهم أو خارج هذا المحيط، فإنه يوسع نظرتهم للحياة بأسلوب سهل وبطريقة مشوقة، وهو إذ يعرض القضايا الاجتماعية القائمة في المجتمع، فإنه يثير الوعي والإحساس بهذه القضايا، ويوجد

---

(١) محي الدين عبد الحليم: الاتصال بالجماهير والرأي العام، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٣م، ص٣٠.

دافعًا وحماسًا ورغبة في حلها. وتدل الأبحاث العلمية على أن تأثير التلفزيون في حالة توافره، يفوق تأثير وسائل الاتصال الجماهيري الأخرى(١).

والصحافة تمكن المتلقي من قراءتها وقت ما يشاء وفي أي وضع يريد، وتسمح بحرية أكبر في التخيل والتحليل والتفسير، كما أنها أقدر على مخاطبة الجماهير النوعية، من خلال الإصدارات المتخصصة التي تتوجه إلى مختلف الفئات والأعمار.

والسينما تمتلك قوة استهواء مباشرة للجماهير، وغني عن البيان أن عادات الممثلين على الشاشة سرعان ما تنتشر بين الصبية والمراهقين وغيرهم من شديدي الحساسية للاستهواء، وقد أثبتت البحوث العلمية أن السينما أقدر على تغيير المعلومات في حالة توافرها، وإن كانت لا تستطيع تغيير الآراء والأفكار.

وقد أضافت القنوات الفضائية بُعدًا آخر في حقل الاتصال الجماهيري، وذلك من خلال الشبكات الدولية التي تتميز بسعة الانتشار، والقدرة على الجذب، والسرعة في توصيل الرسالة، لتسهم بدورها في تحقيق عالمية المعرفة، وإلغاء عنصري الزمان والمكان.

وتشكل الأقمار الصناعية الثورة الخامسة في عالم الاتصال الإنساني بعد الثورة الأولى التي تمثلت في اكتشاف الكلمة المنطوقة، والثانية التي

(١) عبد اللطيف حمزة: الإعلام.. تاريخه ومذاهبه، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٦٥م، ص٢١.

بدأت باختراع الكتابة، والثالثة التي تلت اختراع الطباعة، والرابعة التي نتجت عن اكتشاف وتطور الإلكترونات، والتي ولدت معها الهاتف والبرق والراديو، والتي أعقبها نقل الصور بخطوط المواصلات السلكية، وبعد ذلك تحركت الصورة على شاشة السينما ثم صَاحَبَها الصوتُ، وجاء «التلفزيون» بعدئذ وعَرَضَ صوراً متحركة ناطقة للأحداث في وقت وقوعها[1].

لقد أصبحت وسائل الإعلام في المجتمع المعاصر تؤدي وظائف على درجة كبيرة من الأهمية، كتزويد أفراده بالأخبار والمعلومات، وتقديم التحليل والتفسير لهذه المعلومات، كما تقوم بمهمة التعليم والإعلان والعلاقات العامة والترفيه.. وهذا التفاعل بين هذه الوسائل والمجتمع يسهم إسهاماً فعّالاً في تطوير هذا المجتمع، ويبشّر بميلاد الدولة العصرية، أي أن هذه الوسائل تستطيع تقديم أفضل الخدمات، الأمر الذي ييسر للجماهير أحسن فرص التعليم والمعرفة، وتساعد على نشر المعلومات العلمية والحياتية لمسافات بعيدة، ولمجموعات كبيرة من الناس، وتقدّم خبرات وتجارب واسعة، الأمر الذي لا يمكن تحقيقه بأية طريقة أخرى، كما تساعد على تقديم المعلومات والتجارب بصورة فردية، وتؤدي إلى الإحساس بالألفة بين المادة المعروضة والجمهور الذي يتلقى عنها، وذلك

(١) علي عجوة وآخرون: مقدمة في وسائل الاتصال، جدة، مكتبة مصباح، ١٩٨٩م، ص١٧٦.

بما يتوافر لها من إمكانات فنية تساعدها على التعبير الصحيح عن المضمون الفكري الذي تتناوله[1].

المهم هنا هو كيفية استثمار معطيات هذه الوسائل، وتلافي السلبيات التي تنجم عنها والتي قد تضعف من إيجابيتها، لتتحمل مسؤولياتها في الإعلام والتعليم والتثقيف والتسويق والترويح والترفيه النظيف، وذلك انطلاقًا من المكانة الكبيرة التي تحتلها وسائل الإعلام كواحدة من أهم روافد تشكيل الفكر وبناء الرأي العام وتحديث أنماط الحياة في المجتمع المعاصر.

والإعلام بهذا يصبح المظلة التي تتحمل مسؤولية تحقيق الأمن والسلام الاجتماعي، بعد أن تحوّل إلى أداة مسؤولة يجب أن تعمل بوعي من أجل التنمية والعدل والتثقيف، وحل الصراعات الاجتماعية، بأسلوب حضاري، وتربية المجتمع على الإيمان، وإعلاء القيم الدينية. وواجبنا الآن أن ننبه إلى أهمية هذا الدور، وضرورة الإسراع في وضع الخطط المدروسة لإنتاج البرامج التي تجذب الأجيال الجديدة، وتوجههم التوجيه السليم، ولا تحرمهم -في الوقت نفسه- من الاستمتاع بالفنون الراقية فيه، وذلك من خلال تقديم كل جديد يقوم على التنوع ويتسم بالمصداقية.

---

(١) عبد الجبار ولي: دور وسائل الاتصال الجماهيري في تنمية المجتمع العربي (من وقائع ندوة: ماذا يريد التربويون من الإعلاميين؟)، ط٢، ج٣، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ص١٥١.

وتأسيسًا على ذلك، فإننا نستطيع أن نؤكد أن مؤسسات الاتصال الجماهيري الحديثة -كالراديو والتلفزيون والسينما- تستطيع الاضطلاع بأدق المهام وأخطر الأدوار، لما تتمتع به من التنوع والتعدد وسعة الانتشار، والقدرة على الوصول إلى الجمهور في أي وقت، وفي أي وضع وفي أي مكان، بعد أن أصبحت هذه المؤسسات تؤدي دورًا رئيسًا في نشر الأفكار العصرية، وإشاعة المعلومات الحديثة المتصلة بنهضة الأمة وميلاد الشخصية الجديدة.

إلا أن الأبحاث العلمية قد أسفرت عن أنه كلما ازداد الطابع الشخصي للوسيلة، ازدادت قدرتها على التأثير، ويرجع ذلك إلى أن الاتصال المواجهي أكثر قدرة على الإقناع من الراديو والتلفزيون والصحف وغيرها من وسائل الاتصال الجماهيري التي تفتقر إلى علاقة التفاعل بين القائم بالاتصال والمتلقي، إضافة إلى أن الرسالة قد تصل عبر وسائل الاتصال الجماهيري مشوهة ومغلوطة، كما أنها قد تسهم في دعم الاتجاهات السلبية، لأنها تعمل من خلال مؤثرات وسيطة خارجة عن ظروف الاتصال.

أي أن وسائل الاتصال الجماهيري لا تستطيع أن تغني عن الاتصال المواجهي في الإقناع والتأثير، لأن هذه الوسائل وإن كانت تتميز بالسرعة الفائقة في نقل الخبر أو المعلومة، وفي نشرها على أكبر عدد ممكن من

الناس، إلا أن مرحلة الإقناع تتطلب المواجهة المباشرة مع الجمهور، وتؤدي دوراً فاعلاً في عرض الحجج المنطقية والبراهين العقلية.

وتتميز وسائل الاتصال المواجهي بانخفاض تكلفتها، إذ أن اللقاءات الجمعية، والندوات الدينية، وإلقاء الخطب والمحاضرات لا تكاد تتكلف شيئًا سوى إعداد المكان وتوجيه الدعوات، في حين أن تكاليف إنتاج برنامج تلفزيوني أو فيلم سينمائي أو صحيفة متخصصة يتطلب الكثير من النفقات.

ومن ثم فإن وسائل الاتصال المواجهي Face to face communication تتبوأ مكانة مميزة في الخطط الإعلامية، فلا يكفي أن يستمع الناس إلى الحقائق والمعلومات عبر الإذاعة، أو يشاهدوها على الشاشة الصغيرة أو الكبيرة، أو يقرؤوا ما تنشره الصحف عنها.

وهذا يعني أنه لابد من التنسيق بين الوسائل المباشرة وغير المباشرة، لتحقيق الغايات المستهدفة، بل يجب أن تتناغم وتتوافق جميعها لكي تؤدي كل واحدة منها المسؤولية المنوطة بها في المرحلة التي تناسبها، فلا يمكن الاستغناء بالوسائل الإلكترونية الحديثة عن الوسائل التقليدية القديمة، فلكل منها دور محدد، ومجال معين، ووقت معلوم، فإذا كان الاتصال المواجهي أكثر قدرة على الاستمالة والإقناع، فإن الاتصال الجماهيري أكثر قدرة على التبليغ والانتشار.

الفصل الثاني
الجهاد الإعلامي وتحديات العصر

أولاً: الإعلام عن الإسلام (الأصول والقواعد والأهداف):

يأتي الإعلام عن الإسلام في مقدمة القضايا التي أثارت جدلاً كثيرًا ونقاشًا حادًا في الأوساط العلمية والثقافية والسياسية، وذلك في الثلث الأخير من القرن العشرين.

ولعل من أهم أسباب هذا الجدل والنقاش الذي أثير بهذا الصدد، هو درجة حساسية هذا الموضوع، وارتباطه بكثير من ظواهر الحياة.

وفي ضوء كل هذا، فإننا في حاجة إلى وقفة علمية متأنية، بعيداً عن التوجهات الفكرية المتحمسة والرافضة، لنفكر بهدوء وروية حول حقيقة هذا الموضوع ودلالاته.

وإذا كنا جادين في خدمة رسالة الحق، علمًا وعملاً، حريصين على تفعيل دورها في مختلف المجالات ولجميع الفئات، فإنه لابد من الاتفاق على منهاج علمي واضح الرؤية، محدد الملامح للنشاط الإعلامي، تلتزم به أجهزة إعلامنا، يغنينا عن المناهج الوضعية والشرائع المستوردة، ويحقق لنا السيادة على سمائنا وأرضنا.

ولا أستطيع أن أنكر الصعوبات التي يتعرض لها هؤلاء الذين يخوضون في هذين المجالين: مجال الدين، ومجال الإعلام، نظرًا للحساسية المفرطة التي تكتنف جهودهم وبحوثهم، فمن يتعرض للقضايا الدينية لا يكاد يسلم من الانتقادات والاتهامات، كما أن الخوض في النشاط الإعلامي -بكل تداعياته العصرية وتأثيراته السلبية- كثيراً ما يعرض صاحبه إلى كثير من الاعتراضات والهجمات.

إلا أن القرآن الكريم يحسم هذا الجدل، مؤكداً أن الإعلام بدعوة الإسلام ليس من نافلة القول، كما أنه ليس نشاطًا ترفيًا، ولكنه واجب ومسؤولية، وهو القطب الأعظم في الدين، والمهمة التي بعث الله بها نبي هذه الأمة وخاتم الرسل، ولولاها لذهب مقصود الرسالة، وضاع هدف البعثة، وفشا الفساد، وعم الضلال، ومُنع الهدى والخير[١].

وتؤكد الشواهد العملية والحقائق العلمية أن الإعلام وفنونه وأنماطه وقوالبه، يعد واحداً من أهم أدوات نشر الرسالة والإقناع بها، فهو بمثابة الجسور التي تعبر منها الرسالة إلى الناس.

والإعلام الدعوي هو إعلام من الله ولله، يستخدم كافة الوسائل والتقنيات والمعطيات العصرية، ويوظّف كل قوالب وفنون التحرير والإخراج والدراما والحوار... إلخ.. يلتزم بالثوابت ويجتهد في

(١) توفيق يوسف الراعي، الدعوة إلى الله، الكويت، مكتبة الفلاح، ١٩٨٧م، ص٤٧.

المتغيرات.. وهو إعلام ملتزم لا يلعن ولا يطعن ولا يتهم الآخرين بالباطل، ولا يجهر بالسوء والفحشاء أو بالغيبة والنميمة.. يتوجه لكل الناس في كل زمان، وفي كل مكان.. فلسفته متميزة، ثوابته واضحة، أهدافه محددة، قوانينه مستمدة من القرآن والسنة، شعاره: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (النساء: ١٤٨).

والإعلام الدعوي متميز بأهدافه وتوجهاته ومنطلقاته وشرائعه، والقوانين التي تحكم عمله، إنه ليس مجرد صفحات دينية أو برامج إذاعية معزولة ومحدودة في وسائل الإعلام المقروءة أو المسموعة والمرئية، ولكنه جهود مخططة تستهدف الإبلاغ بالحقيقة وتنقية الرسالة الإعلامية من كل الشوائب والملوثات، ليكون ذا منبت حسن، وأهداف نبيلة.. إنه إعلام الكلمة الطيبة، الذي يُسهم في بناء الإنسان وفق المنهج الإسلامي، ويخلصه من العبودية لغير الله في البرامج والمعالجات كافة، بدءاً من فقرات الترفيه والترويح، وانتهاءً بإعلام الأزمات والشدائد.

وهذا كله يتطلب المبادرة إلى إنشاء مؤسسات إسلامية قوية للإنتاج والتوزيع في مختلف المجالات، كما أنه يتطلب كفاءات بشرية قادرة، وإمكانات مادية كافية، وخطط علمية جادة.

إن الصياغة الإسلامية للنشاط الإعلامي -نظريًا وتطبيقيًا- ليست مشروعًا سهلاً، بل هي مشروع عملاق يمثل صورة من صور التحدي الحضاري الشامل الذي يواجه الأمة في حاضرها ومستقبلها.

والذي يقرأ القرآن بتدبر، يقف حتمًا عند الآيات الكثيرة التي تحدثت عن البلاغ والإنذار والتبشير والإخبار، ويكفي أن نعلم أن الآيات التي اشتملت على كلمة: «أعلم» و«علم» وما يشتق منها، تجاوزت السبعمائة آية، وقد تكررت بقية الكلمات مرات عديدة، ومن هذه الآيات على سبيل المثال: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٦٢).. ﴿ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ (الجن: ٢٨). ﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ (إبراهيم: ٥٢).

والقرآن الكريم هو الرسالة الإعلامية المقدسة، معجزة الإسلام الخالدة، وهو الدستور الشامل الجامع المنظم لشؤون المسلمين في الأمور كلها، ومن ثم فهو المرجع الرئيس للنشاط الإعلامي، ينظم للدعاة خططهم، ويحدد مجالات نشاطهم، ويحقق أهدافهم، ويستطيع القائم بالاتصال أن ينهل منه ليدعم الحقيقة، ويستعين به في معالجة قضايا المجتمع المعاصرة.

والباحث المدقق سيجد أن الله ما بعث رسوله إلا لإبلاغ العالم برسالة الإسلام، وقد حمل ﷺ أمانة الدعوة بكل تجرد وإخلاص، من خلال

منهج إعلامي متميز أبرزته دوائر المعارف العالمية، واعترف به المستشرقون المنصفون.. منهج يجب أن نقف عنده لنستخلص منه النتائج والعبر، ونتعرف من خلاله على الأساليب التي حقق بها هذا الإنجاز، وهو المنهج الذي حدده الحق في قوله عز من قائل: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ (يوسف:١٠٨).

الحقيقة أن الجهود الإعلامية التي أنجزها رسول الإسلام ﷺ تؤكد الدور الكبير الذي اضطلع به الإعلام في هذا الصدد، وهي جهود استلفتت انتباه الخبراء والباحثين، فقد نهج في دعوته نهجًا خاصًا، ووضع لهذه الدعوة أصولاً ومعايير تحتاجها جهود العلماء والباحثين، وقد حدد الله له ركائز هذا المنهج في كلمات دقيقة واضحة لا تحتمل لبسًا أو غموضًا في العديد من الآيات الكريمة، منها قوله عز وجل في سورة الأحزاب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ (الأحزاب:٤٥-٤٦)، وقوله في سورة المائدة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (المائدة:٦٧).

وتوضح هذه الآيات أن مهمة الرسول تتركز في البلاغ، ثم هو بعد ذلك غير مكلف بهداية الناس، فهذه الأمور من شؤون الخالق سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾ (الرعد:٤٠).

بل إن الرسول ﷺ قد مارس الإعلام الدولي وحقق من خلاله نتائج مثمرة، حتى قبل أن يفتح الله عليه أم القرى وينتهي من هداية قومه في الداخل، ويتمثل ذلك في هؤلاء الرجال الذين تعلموا في مدرسة النبوة، وقام بإيفادهم إلى ملوك العالم وحكامه، وكان ذلك في السنة السادسة للهجرة بعد عودته من صلح الحديبية، فأرسل إلى إمبراطور الروم، وإمبراطور الفرس، وحاكم مصر، وإلى النجاشي وغيرهم، وقد أحصى المؤرخون أكثر من ثلاثمائة رسالة بعثها الرسول ﷺ، وحملتها رسله إلى هؤلاء الملوك والأمرء والحكام، سواء خارج الجزيرة العربية أو داخلها.

وقد نهج صلوات الله وسلامه عليه نهجًا خاصًا في خطابه الإعلامي، فكان يخاطب كل فئة بحسب دينها وفكرها ومكانتها في المجتمع، فالمشركون غير أهل الكتاب، والكفار غير العصاة، والحكام غير المحكومين، والمؤمنون غير المنافقين، ولكنه كان يلتزم دومًا بلين القول، ووضوح المقصد، وسلاسة العبارة، وقوة المنطق، ونفاذ المعنى، فكان صادقًا حين قال عن نفسه: «**أوتيتُ جوامع الكلم، أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش**»(١).

وليس رسول الله ﷺ وحده هو المكلف بالدعوة لدين الله، ولكنها واجب على الجميع، ومعنى ذلك أنه من اللوازم الضرورية لإيمان المسلم أن يدعو إلى الله بكافة السبل الممكنة.

---

(١) انظر صحيح مسلم، مساجد، ٥-٨. البخاري، تعبير١١. الترمذي، سيرة. أحمد، ١٧٣/٣ وغيرها.

أي أن الإعلام عن الإسلام ليس وقفًا على رسول الله ﷺ وحده، بل يشمل أمته كلها.. ووصل التكليف به حدّ الوجوب، بل وصل الأمر أن جعل الله الأمة آثمة إذا تراجعت عن إبلاغ هذه الأمانة للعالم كله، وقد حذّر الله من مغبة التقاعس عن الاضطلاع بهذه المسؤولية.

وتؤكد الحقائق القرآنية أن التقصير في تحمل المسؤولية الإعلامية الإسلامية، يعني عدم الامتثال لأوامر الله تبارك وتعالى، وهذا ينذر بغضب من الله وبسوء العاقبة، وفي ذلك يقول عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ١٦٠).

فلا أهمية للمبادئ والقيم إذا لم تأخذ فرصتها للنشر والإذاعة، لأنها لا تعدو أن تكون حينئذ آثارًا محنطة وأفكارًا مهملة لا ينتفع الناس بها، ولا يكشفون عن جوهرها، ولا يستفيدون من النماذج التي تهديهم إليها، ولذلك كان نشر الإسلام والتبصير به لبًّا من لباب الدعوة وجزءًا مهمًا من أجزائها، وعاملاً أساسيًا للكشف عن جوهرها.

وهذا يشير إلى أن المسؤولية الإعلامية هي السمة التي ميّز الله بها أمة الإسلام على سائر الأمم الأخرى، وذلك انطلاقًا من قوله عز وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ

عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ (آل عمران: ١١٠). وهي تلك المهمة التي فضل الله الذين يتصدون لها، وجزاهم وقربهم إليه عمن سواهم، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ (فصلت: ٣٣).

وإذا كان على كل مسلم أن يدعو في حدود ما يعرف، وبقدر ما تسمح له بذلك قدراته ومعارفه، فإن عليه أن يوسع ويعمق من دائرة معارفه بكافة السبل الممكنة، حتى لا يدعو إلى الباطل وهو لا يدري، وبذلك يضلل الناس بدلاً من أن يهديهم.

وقد كرّم الله العلماء، وبوأهم منزلة رفيعة، لا لأنهم يختزنون العلم في صدورهم، ولكن لأنهم ورثة الأنبياء في الإعلام بدين الله، وهداية الجماهير إلى طريق الحق والخير، فهم بمثابة شموع تضيء الطريق لأقوامهم باعتبارهم الأكثر علماً، والأوسع أفقاً، والأرحب فكراً، والأقرب إلى الله، وهم الذين يقومون بتوضيح الأحكام، وشرح المعاني واستخلاص الحقائق.. كما جعل طلب العلم فريضة على كل المسلمين ليكونوا –كما أراد الله لهم– أمة رائدة قوية ومعطاءة تحقق ما أراد الله لها بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾ (الحج: ٤١).

وليس للمسلمين بعد ذلك عذر إذا قصروا في تحمل مسؤولية البلاغ التي كلّفهم الله بها.

ثانيًا: بين الدعوة والدعاية والإعلام:

إنه على الرغم من أن تكنولوجيا المعلومات، ونظريات الاتصال، وبحوث الرأي العام، وتقنيات البث المباشر، وغير ذلك من المصطلحات العلمية والمهنية، كانت غير معروفة مع بزوغ نور الدعوة الإسلامية في الصدر الأول للإسلام، إلا أن الحقائق العلمية والممارسات العلمية تؤكد أن الإسلام دين دعوة، والدعوة ما هي إلا نشاط إعلامي يخاطب العقل، ويستند إلى المنطق، ويجادل بالحجة، ويعمل على الكشف عن الحقيقة.

وإذا كان يحلو للبعض التفريق بينهما حين يقصدون بالدعوة نشر الإسلام بالوسائل التقليدية، ويعنون بالإعلام استخدام وسائل الاتصال الإلكترونية الحديثة، فإنني أعتقد أن هذا تجنٍّ على الإعلام كما هو تجنٍّ على الدعوة، لأن الإعلام يعني تزويد الجماهير بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة، باستخدام كافة الوسائل القديمة منها والحديثة.. والإعلام إذا صح أداؤه وحسن عمله، فإنه يحقق للدعوة الانتشار والفاعلية، ويحقق التأثير المستهدف، فالإسلام والدعوة يحملان نفس المعنى على الصعيدين النظري والعملي.

وإذا استعرضنا التعريف العلمي للإعلام نجد أنه يتطابق مع مفهوم الدعوة بمعناها الأصيل، وطالما أن الدعوة هي خطاب إلى العقل يستند إلى المنطق، ويقوم على الصراحة، ويرفض الكذب والتلاعب بالألفاظ، منطقها المناقشة التي تؤدي إلى الإقناع، فإنها إذن نشاط إعلامي، ولكنه إعلام من نوع خاص، إنها الإعلام بالرسالة.

إلا أن الدعوة بمعناها الأصيل تختلف عن الدعاية بمفهومها الحديث، على الرغم من أن الأصل اللغوي لكل منهما واحد، لأن الدعاية كثيرًا ما تستند إلى الخيال، وتعمل على فرض وجهة نظرها، مستهدفة من وراء ذلك إخفاء وجهة النظر الأخرى.. وتستغل الدعاية سلبية الناس، وتعمل على تخديرهم، ولا تحفل بإيقاظ عقولهم أو إشراكهم في الأمر، وقد تشوه الحقائق أو تضخمها أو تبترها، وليست الدعوة هكذا، بل إنها تنأى بنفسها عن أن تنهج هذا النهج(١).

وكثيرًا ما تلجأ الدعاية إلى الكذب والمبالغة في القول وبث الشائعات، معتمدة في ذلك على التعبيرات البراقة والصيغ المحفوظة، وقد ينهج العاملون بالدعاية نهجًا لا يتفق مع الأخلاق والمثل العليا، ولا يهمهم إلا تحقيق غايات معينة، مع التضحية بكل شيء في سبيل تحقيق هذه الغايات، وهي تخاطب الغرائز والمشاعر وتثير الانفعالات،

---

(١) Kline Berg Otto: Social Psychology, New, Halt, Rien hart and Winston, 1951, P.501.

وتتوجه إلى الخيال للوصول إلى موقف ما ، كان من الممكن الوصول إليه بصورة طبيعية . . وقد اكتسبت الدعاية هذه المعاني والأوصاف بعد الحرب العالمية الثانية، حين شوّه أدولف هتلر معناها في حربه الدعائية ضد الحلفاء على يد وزير دعايته جوبلز، فتحت منحىً آخر خرج بها عن أهدافها النبيلة .

وعلاقة الإعلام بالدعوة تختلف عن علاقته بالعديد من العلوم والفنون الأخرى، حيث إن علاقته بالدعوة هي علاقة من نوع خاص، فالإعلام هو المحرك الرئيس الذي تدور به قافلة الدعوة، ومن خلاله تتحقق أغراضها، ومن ثم فإن الفصل بين النشاط الدعوي والنشاط الإعلامي يجافي الحقيقة، ومن ثم فنحن نؤكد على وحدة النشاطين.

والإعلام ليس مجرد نشاط ترفي أو نشاط إخباري فقط، كما يظن بعضهم، لأن الإعلام إذا كان يَحفل بالترفيه والإخبار، فإنه يهتم بالتثقيف والتعليم وبناء الإنسان وتكوين الرأي العام . . والذين يربطون الدعوة بالدعاية، فإنهم يتجاوزون الحقيقة . . وفي الحقيقة أن الخطط الإعلامية في المجتمعات الإسلامية لن يكتب لها النجاح المطلوب في غيبة دعم دعوي وتأييد روحي من رجال الإعلام، لأنهم قادة الرأي في هذه المجتمعات، وهم قادرون على تحقيق النجاح لهذه الخطط أو إفشال نشاطها، وهؤلاء يطلق عليهم خبراء الإعلام: حراس البوابات الإعلامية،

لأنهم هم الذين يسمحون بمرور ما يقتنعون به، ويمنعون ما لا يتفق مع فكرهم ورؤاهم، وفي نفس الوقت فإن الخطط الدعوية لن يتحقق لها الانتشار المطلوب في غيبة وسائل الإعلام الحديثة، لأنها في حاجة إلى شبكات إذاعية، وقنوات فضائية، وصحف دولية، لنقلها وتعميمها.

وكيف لرسالة الإسلام أن تغفل هذه الثورة المعاصرة في التقنيات والفنون والقوالب الإعلامية، بعد أن أصبحت القوة الإعلامية هي القوة المسيطرة، والقادرة على تحقيق النصر في معركة التحديات التي تواجه الدعوة الإسلامية؟ وفي الحقيقة أن إهمال هذا الطوفان الهائل من المعلومات التي تحملها وسائل الإعلام، وعدم الاهتمام بآلياتها، يعد هروبًا من الواقع الذي يفرض نفسه علينا.

وفي ضوء ما تقدّم نود أن نؤكد أن وسائل الاتصال ليست حكرًا على الإعلاميين وحدهم، ولكنها حق للدعاة، بل أكاد أقول: إن دعادة الإسلام يجب أن يقتحموا هذا المجال، دراسة وتدريبًا وتعليمًا وممارسة، حتى يمكنهم توظيف المستخدمات العصرية لصالح الدعوة الإسلامية، كما أن الأخلاقيات الإسلامية لا يجوز أن يختص بها الدعاة وحدهم، فالإعلاميون في العالم الإسلامي، لابد أن يلتزموا في نشاطهم بالأصول العقدية بدلاً من الاجتهادات التي قد تبعدهم عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ثالثًا: الإسلام والإعلام الدولي:

إنه لا يخفى على أحد الأثر الهائل لوسائل الإعلام الدولية في التأثير على الرأي العام العالمي، لذا سعت الدول الكبرى إلى تطويرها والهيمنة عليها لتكون في خدمة مصالحها ولكي تحقق أهدافها، واتخذت هذه الهيمنة أساليب ووسائل مختلفة، فنجد أن شبكات الاتصال العالمية تتمركز في هذه الدول، والاشتراك والانتساب لها يقتضي رسومًا وتكاليف باهظة ليست في متناول الدول النامية، مما يقوي قبضة البلدان الغنية على مصادر المعلومات.. فعلى سبيل المثال نجد أن تكلفة الإرسال عبر مسافة معينة بين نقطتين داخل البلاد النامية، أكثر من تكلفة الإرسال لنفس المسافة في البلاد المتقدمة، بل إن تكلفة نقل الرسالة من بلد متقدم إلى بلد نام أكبر من قيمتها إذا نقلت في الاتجاه المضاد[1].

وهكذا نرى أن النظام العالمي السائد حاليًا في مجال الإعلام يقوم على سيطرة القوى الدولية الاحتكارية الضخمة، ولم يعد في إمكان الكيانات الإعلامية الصغيرة الوقوف أمام هذه القوى.. وتكشف الأرقام والإحصاءات عن عدم التوازن في توزيع الإمكانات الإعلامية من صحف وشبكات إذاعية وأجهزة استقبال وإنتاج برامجي ضخم... وهذا يعني أن الحملات الإعلامية الدولية التي يتعرض لها المسلمون تجعلهم يعانون من

---

(١) د. محمد عبده يماني، المرجع السابق.

هذا الوضع الظالم، كما تجعل الدول الإسلامية لا تعرف أخبار بعضها إلا عبر وسيط أجنبي غير مسلم.

وقد نجم عن ذلك أن الدول المتقدمة أصبحت تفرض رؤيتها على الدول الإسلامية، من خلال التحكم في المعلومات والأنباء التي تتم معالجتها بطرق تناسب أفكار هذه الدول، حتى لو أدى ذلك إلى تشويه صورة الإسلام من خلال التركيز على المشاكل والأزمات والاضطرابات في الدول الإسلامية، وقد تعرضها بصورة تدعو للسخرية، أو تركّز على الأحداث العابرة أو التافهة في الدول الإسلامية فتضخمها وتكبرها، وتصوغها بطرق تخدم الهدف الذي يراد تقديمه عن هذه الدول، كما أنها لا تغطي من أخبارها إلا القدر الذي يخدم مصالحها ويحقق أهدافها، وحين تسعى الدول الإسلامية إلى تصحيح صورتها فلا يكون ذلك إلا من خلال برامج متواضعة أو ملاحق صحفية مدفوعة الثمن.

وتدل الشواهد والدراسات الإحصائية على ازدهار أجهزة الاتصال الدولية التي تدعو إلى الرذيلة، وتحمل دعاوى الشر، وتثير العنصرية وتشعل الأحقاد بين الأمم والشعوب، وتسهم في تدمير العلاقات بين البشر بفعل ما تزرعه من بذور الفتن بينهم، وما تبثه من أسباب الحقد والكراهية، منطلقة في ذلك من مفاهيم خاطئة ومذاهب منحرفة، مستهدفة من وراء ذلك تحقيق مصالح اقتصادية أو مكاسب سياسية،

معتمدة على ما تملكه من أجهزة حديثة وتكنولوجيا متقدمة، وخطط علمية، مستندة في ذلك إلى انعدام العدالة في ملكية مصادر المعلومات، وفقدان السيطرة عليها، وعدم التوازن في توزيعها، مما يؤدي إلى نقص المعلومات الوافية عن الإسلام والمسلمين أو تقديمها بصورة مبتورة أو مشوهة، لتحقيق الأغراض التي تسعى إليها.

ومن ثم لم يكن من المستغرب أن تبدأ الهجمات الإعلامية الشرسة على الإسلام والمسلمين، تلك الهجمات التي تنهج أساليب غير أخلاقية معروفة في هذا الصدد، كالكذب والمبالغة والتجاهل المتعمد للحقائق، وتقديم الرأي على أنه حقيقة، ولننظر إلى خريطة العالم، لنرى ونسمع ونتابع ما يجري على الساحة في كل من فلسطين والفلبين وأفغانستان وأذربيجان وتتارستان وأوزبكستان والبوسنة والهرسك وبلغاريا وألبانيا وجنوب السودان والصومال وإريتريا وقبرص، حيث تتم هذه الهجمات في ظل تعتيم إعلامي متعمد بسبب سيطرة القوى الصهيونية والصليبية على وسائل الاتصال الأوسع انتشاراً والأقوى تأثيراً، ويكفي أن نعرف أن حوالي ٨٠٪ من الأنباء العالمية تسيطر عليها الوكالات الدولية الكبرى، التي لا تحفل بما يدور من أحداث في البلاد النامية، على الرغم من أن هذه البلاد تشكل ثلاثة أرباع سكان الكوكب الذي نعيش عليه[١].

---

(١) محمد المصمودي: النظام الإعلامي الجديد، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٥، ص٢٠٠.

وفي ظل الأوضاع الإعلامية المتردية، نجد أنه تم حصار العالم الإسلامي بوسائل النشر وقنوات الفكر التي تؤدي أدواراً مخططة للتنصير، والتشكيك في الدين الإسلامي، وتنشط في دعم الصهيونية وتكريس مشروعاتها التوسعية على حساب العرب والمسلمين، واستدراج المسلمين بعيداً عن قضاياهم الحيوية، بما تقدمه من برامج مشوقة، وأساليب جذابة و« تكنيك » متقدم ممزوج بإغراءات مادية، وإثارة جنسية، وإعلانات تسعى إلى تغيير أنماط السلوك والعادات والأعراف والقيم والثقافة، حتى يفقد الإنسان المسلم ثقافته وهويته، ويتم تفريغه من الداخل، وإصابته باللامبالاة، مع تحييده بالنسبة لقضاياه المصيرية(١).

وفي ظل هذا المناخ السائد، صدر كتاب سلمان رشدي «آيات شيطانية»، الذي يتهجم فيه مؤلفه على الإسلام ورسوله، وهو الكتاب الذي تم توزيعه على نطاق واسع وبصورة غير مسبوقة، لا سيما في أوروبا والولايات المتحدة، حتى إن ثمان وعشرين داراً أسبانية قد اتفقت معاً من أجل نشر هذا الكتاب، بتأييد كامل من وزارة الثقافة الأسبانية.. بل ورأينا مؤخراً رحلات بابا الفاتيكان في ظل النظام العالمي الجديد إلى عدد من الدول الإسلامية الإفريقية، يمنح بركاته للمسلمين، في حملات تبشيرية واسعة النطاق، تساندها حملات تبشيرية مخططة ومنظمة.

---

(١) عبد المجيد شكري: الإذاعة الإسلامية المسموعة والمرئية وطموحات المستقبل، القاهرة، مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، ١٩٩٢، ص٤٨٢.

وقد رسخ الوضع العالمي الجديد والنظام الإعلامي القائم، بقاء هذا النوع الرديء من الهيمنة، عن طريق قنوات الاتصال والشبكات الإذاعية الدولية.

وينبغي التأكيد على أن هذا الواقع الإعلامي، يتطلب إقامة نظام دولي جديد تتحقق فيه العدالة، ويتم فيه تبادل المعلومات بموضوعية ونزاهة وتجرد، وتتاح فيه الفرصة للرأي العام العالمي لمعرفة الحقيقة، والتمييز بين الحق والباطل،.والهدى والضلال.

وحتى تحافظ الدول الإسلامية على الاستقلال الثقافي، فإنه من الأهمية أن تصبح دولاً منتجة في القطاعات الإعلامية المختلفة، لا مجرد دول مستهلكة تعيش عالة على الدول الكبرى، ولابد أن يُسمع صوتها دوليًا حتى يقتنع الآخرون بأن هذه الدول مظلومة ومهدرة الحقوق.. فما لم تشعر هذه الدول بطبيعة هذه المشكلة، فإن أحداً لن يتقدم لنجاتها، لأنه ليس من السهل تحويل هذا الواقع الظالم بين عشية وضحاها، إلى وضع أقل جوراً، لأن الوضع الراهن نتاج تاريخ طويل، لا يمكن إصلاحه سريعًا، فالأمر يحتاج إلى أساليب محددة وفعالة، وتخطيط علمي، ونوايا طيبة، ورغبة صادقة، وفهم صحيح للوضع العالمي الراهن.

أليس من المفارقة المحزنة ألا نعرف معلومة أو خبراً عن دولة عربية إلا عن طريق وكالة الأسوشيتدبرس أو وكالة رويتر؟ وألا نعرف عن الجزائر

إلا أنها دولة تكثر فيها الصراعات والقلاقل، ويسودها التخلف؟ لأن هذه المفارقات المحزنة ما هي إلا صورة من صور المعاناة التي يعيشها العالم الإسلامي، بسبب اعتماد وسائل الإعلام لدينا على المصادر التي لا تقدم من الواقع إلا ما يتعلق بالكوارث والحروب والخلافات.. أما أخبار الاكتشافات العلمية والتقدم الصناعي والنهضة الاقتصادية فإنها تتجاهلها ولا تحفل بها. ولهذه المعاناة صورة أكثر إيلامًا وأبشع تأثيرًا، لأن وكالات الأنباء الأجنبية هي التي تصنع الرأي العام العالمي، وتشكل رؤيته عن العرب والمسلمين، ومن ثم فلا غرابة أن ينظر العالم إليهم نظرة الازدراء، باعتبارهم قومًا همجيين قساة القلوب، يعبدون المال ويعشقون الجنس، ويحتقرون المرأة، ويحبون الحرب، ويكرهون السلام، ولا عجب أن ينظر العالم إلى الإسلام تلك النظرة، وأن تتشكل لديه هذه الصورة المشوهة، لأن وسائل الإعلام المسيطرة تدعم تلك النظرة بأسباب البقاء والنماء، كما أنها تشحن أذهان الناس بكل ما يرسخ معالم هذه الصورة الذهنية البشعة، والتي تتكون لديهم عبر الأيام(١).

هذا الواقع المرير، يتطلب الإخلاص والتفاني لتصحيح صورة هذا الدين، والتنسيق بين مختلف الأجهزة التي تتحمل مسؤولية الإعلام عن الإسلام، في خطة علمية متوازنة، تحقق الانسجام والتوافق، وتكشف الحقائق الناصعة وتعمل على الإقناع بها.. كما يتطلب القضاء على

(١) عبد القادر طاش: وهذا الحلم، مجلة اليمامة، العدد ٩٣٧، بتاريخ ٧ جمادى الأولى، ١٤٠٧ هـ.

الازدواج أو التضارب، وتضافر الجهود بين مختلف أجهزة الدعوة والإعلام، والتعليم والتنشئة الاجتماعية، لتحقيق الهدف المشترك.

إن الواقع الدولي يؤكد أهمية توحيد الجهود، لمواجهة هذا الغزو والهيمنة الجديدة في مجال الإعلام والمعلومات، وعلينا أن ننتبه إلى ما يفد إلينا، وألا نصبح مجرد وسائل تردد ما يُبث إليها دون تثبت أو تدقيق، وأن نطوّر أنفسنا وإمكاناتنا، وأن ننفتح على العالم، ونقدم إليه الحقيقة التي تفرض نفسها على الجميع، ونستثمر النظام الإعلامي المعاصر لتحقيق عالمية الإسلام، ونشر دعوته لكل الناس، لا سيما أن دعوة الإسلام لا تقتصر على صنف من البشر دون غيرهم، أو قطاع معين من الجماهير دون سواهم، ولكنها دعوة عالمية موجهة إلى الناس كافة، فليست خاصة بجنس دون آخر، أو طبقة دون أخرى، لا يجوز أن تنفرد بها جماعة خاصة أو فئة معينة، أيًا كانت انتماءاتها العرقية أو المذهبية أو الدينية أو السياسية أو الاقتصادية، فهي لكل الأمم، ولكل الشعوب مهما اختلفت ألوانهم ومشاربهم، فالإنسان -حيث يوجد وكيفما يكون- يجب أن تصله هذه الرسالة.

الحقيقة أن الحرب التي تدور رحاها الآن على الساحة الدولية، هي حرب إعلامية -بعد انحسار موجة المواجهات العسكرية في ضوء موازين الرعب النووية- ومن ثم فقد أصبح الجهاد الإعلامي يتبوأ مكانة متميزة

في ظل المستجدات الدولية الحالية.

إنها معركة الكلمة والمعتقد، ولن يفوز فيها إلا صاحب الحجة الأقوى، والأداء المتميز، والقدرة على توظيف الوسائل والتقنيات الحديثة، في عالم تجوبه الأقمار الصناعية ليل نهار، وتمسك بخناقه مراكز المعلومات الآلية، وتسود فيه الترددات الإذاعية، وشبكات الطيف الكهرومغناطيسية.

وهذا يتطلب تحركًا علميًا محسوبًا وسريعًا دون تردد أو توجس، لأن الخطر سينال الجميع دون تمييز، لا سيما إذا أدركنا أن الإسلام هو الدعوة العالمية الكبرى التي بعث الله بها محمداً ﷺ، لتكون نظام الإنسانية الكامل في حياتها الروحية والمادية، في كل زمان وكل مكان، وهذه مسألة بدهية وضرورة فطرية لازمة للدعوة لزوم الماء والهواء لكل كائن حي، بل إن هذه الحقيقة واضحة كالشمس لا تحتاج إلى دليل أو برهان، ولا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

وفي ضوء هذا الواقع، فإنه لابد أن تسعى الدول الإسلامية إلى تحقيق تغيير جذري في النظام الحالي الذي يحكم العلاقات الإعلامية بين الدول المتقدمة والدول النامية، بحيث تكون علاقة محترمة وعادلة تحقق الحد الأدنى لحقوق الإنسان في الاتصال، بدلاً من هذه العلاقات القائمة، والتي تجعل فئة مسيطرة وفئة خاضعة مغلوبة على أمرها.

الفصل الثالث
الأصول الفلسفية والعقدية للعمل الإعلامي

أولاً: الفلسفة الإسلامية في الإعلام والفلسفات المعاصرة:

إذا كان الخبراء والعلماء قد شحذوا هممهم وأعملوا عقولهم لوضع نماذج ونظريات تحدد لأجهزة الإعلام أهدافها ومنطلقاتها ومنهاج عملها، وإذا كانت جهودهم قد أثمرت مجموعة من الفلسفات، إلا أن هذه الفلسفات قد عكست توجهاتهم، وصاغت رؤاهم. وقد طوّر الباحثون هذه الأفكار، فمنهم من صاغها في أربع نظريات: هي النظرية الليبرالية، والنظرية الماركسية، والنظرية الاستبدادية، ونظرية المسؤولية الاجتماعية، ومنهم من زادها إلى ست نظريات فأضاف إليها نظرية إعلام التنمية، ونظرية المشاركة الديمقراطية، كما فعل ماكويل Mcquail[١].

وترى الفلسفة الليبرالية في الإعلام أنها تقوم بتزويد الجماهير بالحقائق المجردة، بهدف بناء عقولهم بناءً سليمًا بصورة طبيعية، وأن المعلومات التي يجب أن تتناولها أجهزة الإعلام يجب أن تتسم بالموضوعية، كما أن الفرد في ظل هذه الفلسفة يتمتع بحرية مطلقة، ويستطيع أن يفعل ما يحلو له، وليس لأحد التدخل في شؤونه وحياته.

---

(١) Mcquail, Denis, Mass Communication Theory, An Introduction, London, Newbury, Bark, 1987, PP, 111-123.

وفي هذا يقول جون ستوارت ميل: «إن البشر جميعًا لو اجتمعوا على رأي، وخالفهم في هذا الرأي فرد واحد، لما كان لهم أن يسكتوه، بنفس القدر الذي لا يجوز لهذا الفرد إسكاتهم حتى لو كانت له القوة والسلطة».

ويبرر جون ستوارت ميل ذلك بقوله: «إننا إذا أسكتنا صوتًا فربما نكون قد أسكتنا الحقيقة، وإن الرأي الخاطئ ربما يحمل في جوانحه بذور الحقيقة الكامنة، وإن الرأي المجمع عليه لا يمكن قبوله على أسس عقلية إلا إذا دخل واقع التجربة والتمحيص، وإن هذا الرأي ما لم يواجه تحديًا من وقت لآخر فإنه سيفقد أهميته وتأثيره».

في حين تقوم النظرية الاستبدادية على أن السلطة تنبع من مصدر آخر فوق الشعب، فلا تسمح بتشكيل المؤسسات والتنظيمات التي تسهم في صناعة الرأي، بدعوى أنها أقدر على معرفة ما يصلح وما لا يصلح، انطلاقًا من أن الدولة في النظرية الاستبدادية تعلو على الفرد في ميزان القيم.. وترى هذه النظرية أن الإنسان شخصية غير مستقلة، وغير قادرة على بلوغ المستويات الرفيعة إلا تحت رعاية الدولة.

أما النظرية الماركسية -وإن كانت شبيهة بالنظرية الاستبدادية في بعض الجوانب- إلا أن وسائل الاتصال وفق هذه النظرية ليست ملكًا للأفراد، بخلاف النظرية الاستبدادية التي تجيز للأفراد هذا الحق، وفي هذه

النظرية نجد أن النقد الموجه من عامة الشعب ضعيف التأثير ومحدود الفاعلية.

وتسخّر النظرية الماركسية وسائل الاتصال لتحقيق أغراضها، معتمدة في ذلك على التهويل والمبالغة والتضليل، رافعة الشعارات الزائفة والكلمات الضخمة، والعبارات الرنانة، كما تسخّر هذه الوسائل لاغتصاب العقول، وتضليل الرأي العام.

وتركّز نظرية المسؤولية الاجتماعية على أنه من حق الناشرين أن يقولوا ويفعلوا ما يطيب لهم، كما أن من حق الرأي العام أن يتزود بالحقائق، وأن مسؤوليات وسائل الاتصال تكمن في تقديم المعلومات الدقيقة والعادلة المطلوبة.

أما الفلسفة الإسلامية في الإعلام، وإن كانت تلتقي في بعض النقاط مع هذه النظريات، إلا أن لها سمات خاصة تحكم نشاطها، وتحدد أهدافها، وهي تختلف عن فلسفة الإعلام الليبرالي أو الإعلام الماركسي أو الاستبدادي.. .إلخ، لأن منطلقاتها وتوجهاتها تتميز بسمات خاصة تحكم منهاج عملها، فلا يجوز لمن يجتهد في المنهج الإسلامي أن يربط بين هذا أو ذاك وبين المنهج الإسلامي المتميز الذي تحددت ملامحه منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، وقبل أن تلوح في الأفق هذه الفلسفات التي وضعها ماركس ولينين وجون لوك وآدم سميث.

إلا أنه إذا كانت الفلسفة الإسلامية في الإعلام تلتزم بما شرعه الله، وتنطلق في نشاطها من الثوابت الإسلامية، فليس معنى ذلك أن منهجها يتفق مع منهج النظم الثيوقراطية المقدسة، لأن القواعد التي تقوم عليها هذه النظم تستند إلى مبادئ غير إسلامية.. فالنظام الإسلامي يقع فيه الخطأ والصواب، ويُتاح فيه للناس أن يعرفوا منه وأن ينكروا عليه، وأن يرضوا عنه، وأن يسخطوا عليه، وهذا النظام لا يتقوقع على نفسه، ولا يقيم حائلاً بينه وبين الجماهير، أو يحرمهم من حقهم في النقد والتقويم والإصلاح وتطوير أنماط الحياة، ولكنه يفتح المجال واسعًا للبحث في المستجدات والأمور الحياتية، لا يقف في سبيل ذلك إلا الحفاظ على حقوق «الغير»، وعدم الاعتداء على حرية الآخرين، وتجريم القذف بالسب إلى غير ذلك مما تحرمه الشريعة وتصوغه القواعد المنظمة لذلك.

ومن ثم فإنه على الرغم من أهمية الاتفاق مع مقاصد الشريعة والانطلاق منها في ممارسة النشاط الإعلامي، إلا أن هذا لا يعني أن تتحول أجهزة الإعلام إلى أجهزة كهنوتية، على غرار أجهزة الاتصال التي تعمل في خدمة الفاتيكان والمؤسسات الدينية الكنسية، والإذاعات التبشيرية التي تحيط نفسها بهالة من القداسة، أو التي تحصر نفسها في دائرة المناسك والشعائر.

وإذا كانت أجهزة الإعلام تستعين بعلماء الدين للإسهام في نشاطها، ووضع الضوابط الشرعية لمنهاج عملها، والمشاركة في تطويرها وتقويمها وتعديل مسارها وإبداء الرأي في خططها، فإنها -في الوقت نفسه- تستعين بعلماء في مختلف المجالات والمعارف لأداء هذا الدور، كخبراء المعلومات وعلماء السياسة، وأساتذة علم النفس والقانون والعلوم التربوية...الخ.

وتأسيسًا على ذلك، فإننا نؤكد هنا على أن القاعدة الثابتة التي تحكم النشاط الإعلامي في المنظور الإسلامي -وإن كانت مؤسسة على قواعد معينة في العقيدة- لا يجوز التغيير والتبديل فيها مهما تغيرت الأزمنة، وتغيرت الأمكنة، وتبدلت الأحوال، إلا أن هذه القاعدة متحركة غير جامدة، ومرنة تقبل التطور والتجديد بما يتلاءم مع مقتضيات العصر وحاجاته، وحسبما تمليه الحوادث وترسمه الأيام. وقد فتح الإسلام باب الاجتهاد على مصراعيه ليجرف كل عقبة تقف أمام التطور في مسيرة حياة الأمم والشعوب، فقد حارب الجمود على المألوف، والتقليد الأعمى الذي يعمي أصحابه عن رؤية الحقيقة.

وإذا كان بعض الناس يظن أن التشبث بالتراث يعني رفض التجديد والمعاصرة، وعدم الأخذ بمعطيات العصر في مجال العلم والتكنولوجيا، فإن هذا يعد تجاوزًا للأصول، وافتئاتًا على الحقيقة، لأن الأخذ بأسباب

التقدم لا يعني الانفلات والخروج عن مقتضيات العقيدة، فالإسلام يقوم على الإيمان بوجود الدنيا ووجود الآخرة، ولكل وجود شأنه، لأن هذه العقيدة تجمع بين الدين والدنيا، كما تقف في مواجهة كل الدعوات التي تقيد ملكات الإنسان، وتقف عقبة كؤوداً في طريق تطوره وتقدمه، وتمنعه من أن يأخذ بكل أسباب التحضر والمدنية.

وهكذا نرى أن الفلسفة الإسلامية في الإعلام، لا تقيد حركة الجماهير، ولا تطلق سراحها بشكل جامح دون ضابط أو رابط، فليس لأحد أن يفرض ما يهواه من لوائح، ويسن ما يشاء من قوانين، أو يبيح ما يعتقده من أمور تحكمها رغباته وغرائزه، لأن إرادة الله القاهر فوق عباده هي التي تصوغ شكل الحياة في المجتمع المسلم، وتفرض على الجميع الالتزام بما أورده في كتابه، وما جاء على لسان نبيه المصطفى ﷺ.

ومن ثم فإن ما أنزله الله في القرآن الكريم من أحكام، لا يجوز لأجهزة الإعلام أن تحوله إلى موضوعات للجدل والنقاش، ولكنها مطالبة بأن تحملها وتبلغها للناس باعتبارها أوامر على الجميع طاعتها، وعدم الخروج عنها، ما ارتضى الإعلاميون الإسلام ديناً لهم. فليس من وظيفة وسائل الإعلام أن تطرح للنقاش إمكان إلغاء صوم رمضان حرصاً على العمل والإنتاج، أو تدعو إلى تعديل مناسك الحج حفاظاً على راحة الحجاج، أو تسن قوانين جنائية أو شخصية أو اقتصادية لا تتفق مع

ما جاء في كتاب الله أو سنة نبيه، كإلغاء عقوبة الإعدام للقاتل الذي توافرت فيه أركان الجريمة.. ومن ثم فإنه لا يجوز لمنابر الفكر وقنوات الاتصال ووسائل الإعلام أن يعلو صوتُها صوتَ الحقِ الذي أنزله الله لعباده.. وليس لسلطة إسلامية أن تمنع الرجل من حق الزواج بأخرى، أو تمنع زواج المسلم من كتابية.. وليس للإعلاميين الحق في الترويج للمعاملات الربوية، أو المطالبة بتقسيم الميراث بالتساوي بين المرأة والرجل، أو تزيين الشذوذ الجنسي والمطالبة بإباحته كما أباحته البرلمانات الغربية.

إنها المدرسة الإسلامية في فنون القول والنشر، التي تقوم على الوسطية والتعادلية والانسجام بين مطالب الإنسان واحتياجاته، فهل نقدم لأجهزة النشر وقنوات الاتصال ومنابر الدعوة ورجال الحكم وأهل العلم هذا المنهاج للسير على منواله، ترسيخًا لمناهج هذه المدرسة وتثبيتًا للركائز الأساسية التي يقوم عليها المجتمع المسلم؟

الحقيقة أنه لو التزمت الأجهزة الإعلامية في العالم الإسلامي بالثوابت والأصول، وانطلقت منها إلى آفاق الحياة الرحبة، تعمل وتجتهد وتبحث وتبدع وتضيف، لكان للعالم الإسلامي شأن آخر، ولَمَا أصبح حال الأمة الإسلامية على هذا النحو، لا سيما أن غالبية الأمة المسلمة مرتبطة بعقيدتها، وأن الدين ما يزال يوجه فكر أبنائها ويبني كيانهم.

وقد فشلت كافة الجهود التي كانت تعمل ضد هذه الحقيقة، وهذا هو ما دفع الخبراء والمهتمين في العالم الغربي إلى محاولة استكشاف السر الغامض وراء تشبث المسلمين بعقيدتهم، وراحوا يبحثون عن القوة الكامنة في هذا الدين، والسر وراء تغلغله في وجدانهم بهذه الصورة اللافتة للاهتمام.. والسر في هذا، يكمن في هذه العقيدة الخالدة، التي أقامت هذه الأمة وأعزتها، ورفعت شأنها بين الأمم.. وفي الحقيقة أنه إذا وضعت وسائل الإعلام في العالم الإسلامي، هذه الحقيقة نصب أعينها، وانطلقت منها لتحقيق الغايات التي تعمل من أجلها، لما رأينا هذا الاضطراب والبلبلة بين المسلمين، لأن الحكم هنا سيكون للكتاب والسنة.

وهذا يعني عدم تجاوز الثوابت التي تلزم المسلمين الالتزام بما أنزله الله، اتساقًا مع قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب: ٣٦).

ومن ثم فإن الإسلام يرفض الفلسفة الإعلامية التي لا ضوابط لها، والتي تؤدي إلى الفوضى واللامبالاة وقلة الاكتراث، لأن العمل وفق هذا المفهوم هو عين الهمجية، وهي التي تسوق المجتمع إلى الدمار، وتعرّض مؤسساته للخراب، ومن أجل ذلك وضع الإسلام لحقوق الإنسان مفهومًا

يدعم الروابط بين الناس، ويمنع الاعتداء على مصالح الآخرين أو مشاعرهم، وهو مفهوم يتوافق مع منهجه، وينسجم مع مبادئه.

والفلسفة الإسلامية في الإعلام ترفض هذا اللون من المذاهب والأيديولوجيات التي تمارس القهر الفكري، وتطبق الدكتاتورية تحت أي من المسميات والمصطلحات، وهذه الفلسفة هي التي جعلت المسلمين يجاهرون بالرأي لرسول الله ﷺ، بالرغم من إجلالهم له إجلالاً لا يقف عند حد، كما جهروا للخلفاء الراشدين من بعده بآرائهم انطلاقًا من أن هذا الدين لم يقهر إرادة الآخرين في تبني ما يشاءون من آراء وأفكار.

وبهذا نرى أن الفلسفة الإسلامية تضع للنشاط الإعلامي إطارًا يتسق مع أسسه ومبادئه، فلا يجنح إلى هذا اللون من الحقوق المطلقة والمنفلتة، دون النظر إلى ما يمكن أن يؤدي إليه الجموح البشري من عواقب، كما لا يجنح إلى كبت الملكات الإنسانية، وتكميم الأفواه، وخنق الأنفاس.

إن ما يميز النظام الإسلامي في الإعلام أنه نظام متكامل ماديًا وروحيًا، في حين أن القوانين التي يضعها البشر غير قادرة على إقرار العدل بين الناس، لأنها نتيجة تفكير عقول بشرية، والإنسان في تفكيره يخطئ ويصيب، وقد يمارس الظلم، ويتجاوز الحقيقة.

كما أن المدرسة الإسلامية في الإعلام تهتم بتحقيق التوازن بين الحاكم والمحكوم، لأنه من خلال هذا التوازن يتحقق احترام الإنسان، وذلك من خلال إتاحة الفرصة للجمهور لمراقبة المسؤولين إن خرجوا عن الثوابت الأساسية، ولذلك أعطى الإسلام الحصانة لإجماع العلماء من أهل الحل والعقد على موقف معين، ولا شك أن شعور المسؤولين برقابة الجمهور يجعلهم يراجعون أنفسهم ألف مرة قبل أن يقدموا معلومات غير صحيحة أو أخباراً كاذبة(١).

وإذا كان النظام الإسلامي قد أتاح للفرد والمجتمع ممارسة حقوقه في التعبير والتحرير، فقد أطلق أيضًا للأفراد والمؤسسات والحكومات حق ملكية وإدارة وسائل الإعلام، بدءاً من النشرة والمجلة والصحيفة، حتى شبكات الراديو والتلفزيون، وقنوات الاتصال الفضائية، وذلك في الحدود التي كفلتها الشريعة، والتي تقوم على ما يلي:

١ ـ عدم إساءة استخدام هذا الحق ضد الآخرين، أفراداً أو جماعات، حكومات أو منظمات.

٢ ـ منع الاستغلال والاحتكار بكل أشكاله وألوانه، حتى لا تكون ملكية هذه الوسائل دُولةً بين الأغنياء.

---

(١) منير حجاب: ضوابط الممارسة الإعلامية للقائم بالاتصال في حقل الإعلام الإسلامي، القاهرة، مؤسسة اقرأ الخيرية، ١٩٩٢م، ص١٠٢.

٣ ـ دفع القدر الواجب به من زكاة العقار وزكاة المال عن هذه الممتلكات والأموال.

٤ ـ العمل وفق النظام الاقتصادي في الإسلام، الذي يرفض كل أشكال الممارسات الربوية.

٥ ـ إتاحة حق الاتصال وحرية النشر والتعبير للجميع، مؤيدين ومعارضين بصورة متوازنة.

٦ ـ الأخذ بكل أسباب التقدم لتطوير العمل في المؤسسات الإعلامية في العالم الإسلامي، وتجديد نشاطها وفق أحدث المعطيات العلمية والتكنولوجية، في مواجهة وسائل الاتصال الدولية القوية التي تمارس كل ألوان الغزو الفكري، وفنون الحرب النفسية ضد الإسلام والمسلمين.

٧ ـ تحقيق العدالة وتكافؤ الفرص لكل أفراد المجتمع في التعيين والترقية وتطبيق مبدأ الثواب والعقاب، وفق أصول وقواعد الشريعة الإسلامية، بعيداً عن كل ألوان التحيز والتعصب والظلم والتعدي.

٨ ـ الالتزام بقواعد الشريعة الإسلامية في التخطيط والإدارة والتنفيذ، وتحقيق الأهداف واختيار الوسائل الموصلة لهذه الأهداف.

ثانيًا: المرجعية الفكرية للنشاط الإعلامي:

لا يكاد يوجد عمل فكري أو أيديولوجي يؤدي دوره دون أن ينطلق من إطار عقدي، أو رؤية مذهبية، ولعل هذا هو ما يميز هذا اللون من النشاط عن غيره من الأنشطة الإنسانية الأخرى.. كما أنه لا يكاد يوجد مجتمع من المجتمعات البشرية، إلا وقام بناؤه الاجتماعي على معتقدات دينية خاصة، وهذه المعتقدات هي التي توحد أفراد هذا المجتمع في مختلف مناحي حياتهم، وتنظم أمورهم ومعاملاتهم وأخلاقهم، وذلك من خلال المعايير التي يتم بها الحكم على مختلف الأمور(١).

فإذا استعرضنا العمل العسكري -على سبيل المثال- فسنجد أن العقيدة القتالية للجندي المحارب هي التي تدفعه إلى مواجهة العدو، أي أنه لابد من عقيدة تقف وراء هذا العمل، وتستقي هذه العقيدة أصولها من مصادر دينية أو مذهبية، وينطبق هذا على كل ألوان النشاط البشري.

ومن ثم فإن المرجعية العقدية هي التي تسهم بصورة مؤثرة في تشكيل اتجاهات الجماهير وتكوين آرائهم وتحديد نظرتهم لمختلف الأمور التي تكتنف حياتهم، وتحدد لهم دروب الحياة بأشكالها المختلفة ومكوناتها المتعددة.. والعقيدة بهذا، تعد الوقود الذي يرفد العقل الإنساني، وهي الزاد الفكري الذي يصوغ الأهداف ويحدد الخطوات، وما أكثر العقائد التي تسود العالم وتهيمن على فكر الناس وسلوكهم،

---

(١) عبد الله الخريجي: علم الاجتماع المعاصر، القاهرة، دار الطباعة الحديثة، ١٩٧٠م، ص٥٨.

وتحكم حركة الحياة. وقد شاهدنا ذلك عن كثب، حتى في الدول التي حققت أعلى درجات التقدم في مجال العلوم والفنون، على الرغم من المساحة الكبيرة من الحرية التي تسودها، فالكاثوليك والأرثوذكس مثلاً يتعصب كل منهم لمذهبه، والبوذيون متحمسون لبوذيتهم، وكذلك الهندوس واليهود والبروتستانت وغيرهم، وهذا يفسر أسباب الصراع الدائر الآن في الهند، والبلقان، والقوقاز، والفلبين، وروسيا، وفلسطين، وأيرلندا، وهي خلافات تصل إلى درجة المواجهة والقتال وسفك الدماء.

ولعل أخطر الأنشطة المعاصرة التي تبرز على الساحة الدولية الآن، ويحكمها معيار العقيدة، هو النشاط الإعلامي، فلا يكاد يوجد إعلام متجرد وموضوعي بالمعنى المقصود من هذه الكلمة، فكل الشواهد العلمية والتجارب العملية تؤكد أن الإعلام لا يعمل إلا ضمن إطار مرجعي يحكم نشاطه ويحدد غاياته، فالإعلام الصهيوني محكوم بعقيدة آل صهيون، فهي الإطار المرجعي له، وعليها تقوم مخططاتهم، ومن خلالها تنطلق أبواق دعايتهم، وبها استطاعوا السيطرة على الكثير من أجهزة الاتصال الدولية، ومن خلالها بسطوا نفوذهم واستقطبوا الجماعات الضاغطة، وسيطروا على صنّاع القرار في الدول الكبرى التي تبنّت وجهات نظرهم، فأصبحوا لا يرون إلا ما تراه إسرائيل، ولا يحكمون إلا بمنظورها، وقد استفادوا في ذلك من التقنيات العصرية، وسخروا أجهزة الإعلام الدولية لخدمة أهدافهم وتحقيق أغراضهم وكسب الرأي العام العالمي في صفهم.

كما بذل المبشرون جهوداً إعلامية ضخمة في تنصير العديد من أصحاب المذاهب والأديان الأخرى، ونجحوا في تنصير الملايين في إفريقيا وآسيا، وكانت جهودهم تهدف إلى نشر العقيدة التي يؤمنون بها.

وحدد الماركسيون إطاراً مرجعياً لنشاطهم الاتصالي، منذ قيام الثورة البلشفية في الاتحاد السوفيتي السابق، مستهدفين من وراء ذلك ترسيخ أفكار كارل ماركس، بغض النظر عن فساد أو صلاح هذا الفكر، إلا أنهم وضعوا لأنفسهم استراتيجية ثابتة، التزمت بها خططهم حتى سقط هذا النظام، وتهاوى هذا البنيان، وراحت وسائلهم الدعائية تعيش في حالة من التيه والضياع بسبب انهيار المرجعية العقدية التي انطلقت منها.

وهكذا نرى أن العمل الإعلامي لابد أن تحكمه مرجعية فكرية، تحدد له رؤاه الفكرية، وتمده بالزاد الروحي والقوى المعنوية اللازمة، لكي ينجح في إقناع الجمهور واستمالته أو تحييده، ومن ثم فإن الحفاظ على الهوية العقدية هو التحدي الأكبر الذي يضع صلابة الإرادة موضع الاختبار، وهي القيمة المقدسة التي تشتمل على دستور هذه الأمة وتراثها وثوابتها الراسخة الضاربة في أعماق الإنسان المسلم، لأنها هي الحقيقة التي تميزها عن غيرها من الأمم.

وتكمن المرجعية الإسلامية في الاستمساك بما أنزل الله، لأن الجمهور المسلم يؤمن بأن الله عز وجل قد تكفّل لمن خلصت عقيدته وصلح فكره بالسعاده في الدنيا والآخرة، وتوعّد من أعرض عنه وفسدت عقيدته بالشقاوة في الدارين.. كما يدرك الجمهور المسلم أيضاً أن عقيدته هي

العقيدة الحق التي حفظها الله عز وجل في كل العصور وكافة مراحل التاريخ، وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

الحقيقة، أنه لن يتحقق أي إنجاز أو نصر للمسلمين إلا إذا استلهمت أجهزة الحكم وقنوات الفكر ووسائل الإعلام روح الشريعة، وطبقت أوامر الحق، ويرجع ذلك إلى أن الجمهور المسلم يؤمن بأن العقيدة الدينية هي التي تستطيع أن تحقق له الإشباع الروحي والعقلي والبدني، وهو ما لا تستطيع أن تحققه أي من العقائد أو المذاهب الأخرى، لا سيما بعد أن أخفقت كافة الأيديولوجيات الأخرى في إسعاد الإنسان، أو تحقيق الحد الأدنى من الراحة النفسية والسلام الاجتماعي له.

وتختلف العقيدة الإسلامية عن غيرها من العقائد في أن غالبية العقائد الأخرى تترك علامات استفهام حائرة في نفوس أهلها، ولم تستطع أن تحل مشكلاتهم الاجتماعية أو الاقتصادية، ففقدت هذه العقائد مصداقيتها، ووجد أصحابها أنفسهم يعيشون في حالات من التيه والضياع، فغرقوا في ملذاتهم، وانساقوا وراء غرائزهم، وعاشوا كما تحيا الأنعام الضالة، ومنهم من أقدم على الهروب من واقعهم، أو الخلاص من حياتهم، فارتفعت معدلات الانتحار بينهم، كما زادت نسبة الجريمة في مجتمعاتهم.. وتكشف التقارير الإحصائية الصادرة عن المنظمات الإقليمية والدولية عن أرقام مذهلة لجرائم القتل والانتحار والسرقات،

إضافة إلى جرائم الاغتصاب التي وصلت إلى أعلى معدلاتها، ليس فقط بين الغرباء، ولكنها تعدت ذلك إلى ذوي الأرحام.

وهنا يجد الحيارى من الباحثين والخبراء الرد على تساؤلاتهم حول سبب تمسك المسلمين بعقيدتهم -على الرغم من الفقر والمرض والجوع والأمية المنتشرة بينهم- ولماذا يرون أن الدين يشكل منعطفًا أساسيًا في حياتهم، ويسيطر على أفكارهم وسلوكياتهم؟ ومن الأمثلة البارزة لذلك، تمسك أهل البوسنة والشيشان وكشمير بعقيدتهم، على الرغم من تعرضهم لكل ألوان القمع والإرهاب ومحاولات الاستمالة والإغراء.. حتى إن كثيراً من ساسة الغرب وعلمائهم نصحوا حكوماتهم بالتعامل مع الظاهرة الإسلامية بصورة واقعية، وعدم إهدار الوقت والجهد والمال لتحويل المسلمين إلى غير عقيدتهم، بعدما فشلت كل محاولات احتوائهم وإغرائهم من خلال وسائل التبشير والتنصير والتكفير المزودة بالأساليب الفنية والتقنيات المتقدمة والكوادر المدعومة بأفضل الإمكانات.

ويؤكد التاريخ الإسلامي هذه الحقيقة منذ انبعاث نور الدعوة الإسلامية حتى الآن، فلم تفلح الحملات العسكرية، والمغامرات التي خاضها تجار السياسة وهواة الحكم والتسلط، ومحاولات الاحتواء والالتفاف، التي قادها زعماء مستبدون وحكام مستهترون، وحملات الغزو الصليبية والشيوعية، في إثناء المسلمين عن الارتباط بشريعتهم، والعمل وفق أحكامها، فلن يقبل المؤمنون دعوة لتناول لحم الخنزير أو شرب الخمر، أو إقامة العلاقات المحرمة بين الرجل والمرأة، أو ممارسة الشذوذ الجنسي، وغير

ذلك من القوانين التي أباحتها البرلمانات الغربية، وتروج لها أجهزة الإعلام هناك، فهذه الدعوات لن تنال الرضا أو القبول، لرفض المجتمع المسلم لها، وكراهيته للذين يدعون إليها، وهذا يشير إلى قوة تأثير العقيدة باعتبارها العامل الأساس في تشكيل الاتجاهات وبناء العقول.

والمتتبع لأحوال معظم الشعوب الإسلامية، يجدها تتطلع إلى اليوم الذي تجد فيه إعلامها واقتصادها وثقافتها تنطلق من هذا الإطار المرجعي.. والمتتبع لحركة الجماهير المسلمة على مدى التاريخ، سيخرج حتمًا بهذه النتيجة، لأن دماء المسلم مخلوطة بهذا الدين، لا يمكن تخليصها منه إلا بتجفيف مصدر هذا الدم ووقف مَعِينه، وكل من يحاول فرض أفكار أو أيديولوجيات أو مذاهب أخرى على العقل المسلم سيجد نفسه منبوذًا حتى وإن حكم وسيطر حقبة طويلة من أحقاب التاريخ، لأن هذا التاريخ لن يرحمه.

إن الإنسان المسلم يعيش بمعتقداته الراسخة دينيًا، ولا يمكن أن يقبل أية دعوة مخالفة لها، حتى هؤلاء الذين قُدر لهم ترك بلادهم والعيش في المهجر، ظل وجدانهم وشعورهم وفكرهم مرتبطًا بهذا الدين، بل إن منهم من هو أكثر حرصًا على الالتزام بالمنهج الإسلامي في حياتهم من إخوانهم الذين يعيشون في ديار الإسلام.

وفي ضوء هذا يصبح على المؤسسات الإعلامية أن تتدارك هذه الحقيقة وتتعامل مع هذا الواقع، إذا أرادت أن تحقق أهدافها وتوسع دائرة

انتشارها، بدلاً من التمسح في مذاهب وأفكار يرفضها الرأي العام المسلم مهما لمع بريقُها.

ومن ثم فإن العمل الإعلامي الذي لا تحكمه عقيدة واضحة، لن يكتب له النجاح في مجتمع مسلم مرتبط بأصوله، متمسك بشريعته، وقد فشلت كل الخطط التي حاولت أن تقفز على هذا الواقع أو تتجاوزه، وسقطت معها كافة الأقنعة التي كانت تعمل على استفزاز مشاعر المسلمين أو احتوائها أو تحويلها.

كما أنه يصبح على صناع القرار في العالم الإسلامي التعامل مع هذه الحقيقة، لأن جهودهم وإنجازاتهم لن يتحقق لها القبول إلا إذا تجاوب معها المتلقون، وسوف تذهب صيحاتهم ونداءاتهم مكاءً وتصدية بدون مشاركة جماهيرية فعالة، لأن أي نشاط إعلامي ينسجم مع روح الشريعة وينصاع لأوامر الله وشريعته، ستنجذب إليه هذه الجماهير بالفطرة، وتلتحم مع صاحبه، مقبلة غير مدبرة، راضية غير كارهة، مؤيدة ومتعاطفة غير رافضة.

فهل آن الأوان للرجوع إلى الحق والتعامل مع الواقع، وربط النشاط الإعلامي في ديار الإسلام بالمرجعية العقدية لهذه الأمة، بعدما تبين أن كثيراً من أجهزة الإعلام لا تلتزم بالأصول، ولا تحافظ على الثوابت، أو تحترم مشاعر الجماهير؟

إن المؤسسة الإعلامية في ديار المسلمين ليست مشروعًا تجاريًا، أو

مؤسسة صناعية تسد الاحتياجات البيولوجية الأساسية للإنسان، إنها تسمو به إلى غايات أنبل، وأهداف أسمى.. ولا بأس من التنوع في الأساليب، والتعدد في القوالب، شريطة أن يحكمها إطار فكري واضح، لأنه في غيبة هذا الإطار فإن أجهزة الإعلام يمكن أن تتحول إلى معاول للهدم، بدلاً من أن تكون أدوات للبناء.

ومن الجهود الطيبة التي بُذلت في هذا الصدد، تلك التي أنجزتها منظمة الإيسسكو، من خلال المؤتمر الذي عقدته في الدوحة عام ١٩٩٤م، حول دور الإعلام في الحفاظ على هوية الطفل المسلم، والتي تم فيها صياغة إطار فكري للنشاط الإعلامي الموجه لأطفالنا، يقوم على أسس تستلهم أصولها من القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ، والتراث الإسلامي، بهدف تنشئة أطفال محصنين ضد أية محاولات تستهدف عقيدتهم[١].

لعلنا نستفيد من تجارب الماضي وحقائق التاريخ، فقد جرّبت بعض الأنظمة السياسية في عالمنا الإسلامي النهج الاشتراكي تارةً، والنظام الاستبدادي تارة أخرى، كما جرّب بعضها الآخر النظام الليبرالي تارةً ثالثة، ولم يسفر هذا أو ذاك إلا عن ضياع وقت الشعوب، وإهدار طاقاتها، والقضاء على ثرواتها.

كما تشهد حقائق التاريخ أنه في الوقت الذي كان المسلمون يلتزمون فيه بمنهج الحق كان النجاح رفيقهم، والنصر حليفهم،

(١) منظمة الإسيسكو: مؤتمر صحافة الطفل المسلم، الدوحة، ١٩٩٤م.

ولن أضرب أمثلة للإنجازات والانتصارات التي حققها المسلمون في الصدر الأول للإسلام، وهي كثيرة ومتنوعة وشاهد صدق على قوة تأثير العقيدة في حياة الشعوب الإسلامية، وتوجد العديد من النماذج التي تؤكد صحة هذه الحقيقة، فلم ينتصر صلاح الدين في حطين، والظاهر بيبرس في عين جالوت، إلا بدعم إيماني، ولم يتحقق نصر أكتوبر ١٩٧٣م إلا تحت مظلة (الله أكبر).

فهل يتعامل القائمون على أجهزة الإعلام في العالم العربي والإسلامي مع هذه الحقيقة، ويدرجون ضمن مواثيق الشرف ودساتير العمل بها ضرورة الالتزام بالمرجعية الإسلامية في فنون القول والنشر؟

وما هي هذه المرجعية التي تستند إليها وسائل الإعلام في العالم الإسلامي؟ وأين هي مما يدور على الساحة الدولية من أحداث وحملات منظمة لتشويه العقيدة وبتر الحقيقة؟

والإجابة عن هذه الأسئلة لا تحتاج إلى إعمال للفكر وإجهاد للذهن، لأن الغالبية العظمى من أجهزة الإعلام في عالمنا العربي والإسلامي تدور في دائرة مفرغة، وتعمل في إطار رؤى إقليمية، وتخدم أشخاصاً مكنتهم الظروف من السيطرة أو النفوذ أو الثراء.

ولن أبتعد كثيراً عن الحقيقة إذا قلت: إن المرجعية الإسلامية تكاد تكون غائبة إلى حد كبير في الممارسات الإعلامية في العالم الإسلامي، إلا من عدد محدود من الصحف الإسلامية والإذاعات الدينية المحدودة الانتشار، الفقيرة في التوزيع.

الفصل الرابع
النظام العالمي وإشكاليات الإعلام الإسلامي المعاصر

النظام العالمي وإشكاليات الإعلام الدعوي:

تؤكد الحقائق العلمية أن التحرك المواكب للأحداث وتحقيق السبق عليها، أفضل بكثير من متابعتها أو محاولة اللحاق بها، وتأسيسًا على ذلك فإنه من الضروري أن ينطلق الإعلام الدعوي من واقع يتفق مع ما أراده الله لخير أمة أخرجت للناس، وهذا يطلب أن تتجمع هذه الأمة بعد طول تفرق، وأن تتوحد بعد طول تمزق، وأن تتقارب بعد طول تباعد، وأن تتكاتف بعد طول تناحر، لإصلاح البيت من الداخل، وإعادة ترتيب الحياة في العالم الإسلامي بصورة تمكنه من تجاوز السلبيات والقضاء على العثرات، لكي تعكس الصورة الصحيحة لهذه الأمة، الصورة التي تنتزع الاحترام والتقدير من العدو قبل الصديق.

وقد أدت سيطرة الدول الكبرى على وسائل وتقنيات الاتصال المتطورة إلى إثارة اهتمام عدد من المفكرين، مما جعلهم ينادون بالبحث عن وسيلة مناسبة لتحقيق العدالة في تدفق المعلومات بين دول العالم المختلفة، وتخفيف قبضة القوى الكبرى على أجهزة صناعة الفكر في العالم.

وقد ازداد الموقف تعقيداً بعد سقوط الاتحاد السوفيتي من ساحة المنافسة الإعلامية، وسيطرة الولايات المتحدة ومعها دول أوروبا الغربية، وعدم ظهور قوة دولية بديلة للاتحاد السوفيتي تضع حداً للهيمنة الأوروبية على الرأي العام العالمي.. وفي جميع الأحوال فإن الإعلام الدعوي يواجه تحديات صعبة وقوى جبارة تسعى لفرض سيطرتها في الصراع الدائر الآن على الساحة الإعلامية(١).

وتؤكد هذه التحديات على ضرورة اتباع أساليب متطورة للمواجهة تقوم على أسس علمية، فلم يعد من المقبول أن ينتظر المسلمون تلقي الضربات من أعدائهم، ثم يحاولوا التصدي لها والرد عليها بعد فوات الأوان.. وتكمن هذه التحديات في مجموعة من الإشكاليات نجملها فيما يلي:

أولاً: إشكالية التكنولوجيا وثورة المعلومات:

فرضت تكنولوجيا الاتصال نفسها بقوة على العصر الذي نعيش فيه، بصورة واضحة، حيث أصبح العالم بفضل هذا التطور المذهل يعيش في بقعة محدودة، تحدت عوامل الزمان والمكان، متزامنة في وجودها وتطورها مع ثورة المعلومات، فمع كل تطور في تكنولوجيا الاتصال

---

(١) علي عجوة: الإعلام الإسلامي في القرن الحادي والعشرين، القاهرة، مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، ١٩٩٢م، ص٤٥٦.

تتطور معه موارد المعلومات، وتطورها يبشر بأن العالم يتغير تغيراً سريعًا، وأن التقنيات القديمة آخذة في الانحسار.

وارتفعت مكانة التكنولوجيا المعاصرة بعد أن أصبح الإعلام صناعة ضخمة، تحتاج لإمكانات كبيرة وللملايين الدولارات، مما جعل الدول المتقدمة والغنية والقوية تتبوأ مواقع القيادة والريادة في هذا المجال، وأصبح عدد قليل من التجمعات الرأسمالية والاقتصادية الغربية يسيطر على السوق العالمي لإنتاج وتوزيع السلع والخدمات الإعلامية، وغدت هذه الصناعة خاضعة لإمبراطوريات ضخمة تنظم السوق، وفق ظروفها ومصالحها واحتياجاتها.

ونظرًا لارتفاع تكلفة تكنولوجيا الإعلام والمعلومات -سواء في المجالات البحثية أو التطبيقية- فإن هذا الواقع ينعكس بصورة حادة على نشاط أجهزة الإعلام في الدول الإسلامية -سمعية وبصرية ومطبوعة- نظرًا للعجز الذي تعاني منه هذه الأجهزة، والذي لا تستطيع معه هذه الدول تطوير نفسها، أو اللحاق بركب التقدم، وهذا بدوره ينعكس على خطط الدعوة ونشاط الدعاة.

وهنا تكمن الأزمة التي تواجهها وسائل الإعلام في العالم الإسلامي، حيث ظلت معظم هذه الوسائل تعتمد على الطرق البالية، وهذا لا يمكنها من التجاوب مع التقنيات الجديدة، مثل استثمار شبكة «الإنترنت»، وعدم القدرة على استخدام الحاسب الإلكتروني في تخزين

واسترجاع خلاصة ما أنتجه الفكر البشري في أقل حيز متاح، وبأسرع وقت ممكن، لأنه في الوقت الذي تستطيع فيه مصادر المعلومات الحديثة أن توفر كمًّا وفيرًا متنوعًا من المعارف التي يمكن أن تسهم في تنمية المجتمعات الإسلامية، نجد أن مراكز المعلومات في هذه المجتمعات تعاني نقصًا حادًا في الكم والكيف.

وبالإضافة إلى ذلك فإن الدول المتقدمة تحتكر مصادر المعلومات الاستراتيجية التي تحملها أقمار الاستشعار عن بُعد، وتحجبها عن الدول الإسلامية، وقد أعطى هذا الوضع لهذه الدول مزيداً من السيطرة والتفوق، في الوقت الذي لم تستطع المؤسسات الإعلامية في العالم الإسلامي، أن تحقق شيئًا يذكر في هذه المنافسة، وهذا الصراع الدائر في الساحة الدولية.

إن الواقع الحالي للعرب والمسلمين يعد أمرًا يدعو للأسف، فنحن نعتمد على وكالات الأنباء العالمية في نقل المعلومات بين أجزاء وطننا العربي والإسلامي، ونقبل تعريفاتهم وتصنيفاتهم، وننقلها حرفيًا دون تبصر، وقد أقبلنا على شراء التكنولوجيا، ولم نسع إلى تعلمها، فكان موقفنا من التقدم التكنولوجي موقف الزبائن، بينما وقف غيرنا -كاليابانيين- من هذا التقدم موقف التلاميذ، فتعلموا وتقدموا وطوروا أنفسهم، ونافسوا القوى الكبرى، وفرضوا إنتاجهم، وحافظوا على تراثهم

وتقاليدهم، بينما وقع العرب والمسلمون في أخطاء قاتلة، ومارس إعلامهم دوراً لا يتفق مع حركة الأحداث وسرعة إيقاع الحياة.

ثانيًا: إشكالية البث المباشر والغزو الثقافي:

ويرتبط بقضية التكنولوجيا قضية أخرى فرضت نفسها مؤخراً على الساحة الإعلامية، وهي إشكالية البث المباشر عبر الأقمار الصناعية، لكي تشكل غزواً جديداً لن تفلح الرقابة والمنع في مواجهته.

وتقوم فكرة البث المباشر على أساس إشارات إلى القمر الصناعي ليقوم بدوره بتقويتها، ثم إعادة بثها لا إلى المحطات الأرضية، ولكن إلى المنازل مباشرة عبر هوائيات صغيرة متوسط قطرها ٧٥سم.. وتعمل أقمار البث في نطاق ترددات ١٢ / ١٤ ميجاهرتز، وقد أثار الاتجاه إلى البث التلفزيوني المباشر على النطاق الدولي الكثير من المشكلات ذات الأبعاد الفكرية والقانونية والسياسية[١].

ومع بدء الاستخدام المكثف للأقمار الصناعية، حاول المجتمع الدولي وضع ضوابط لمنع الاستخدام غير الرشيد للتوابع الصناعية، إلا أن الاستخدام الفوضوي للفضاء الخارجي ما يزال مستمراً، مما يزيد من هيمنة الدول المتقدمة على وسائل الاتصال الدولية، ومراكز المعلومات، ووكالات الأنباء، وأجهزة صناعة الفكر في العالم.

---

(١) راسم الجمال: الأقمار الصناعية ووظائفها الاتصالية، مقدمة في وسائل الاتصال، جدة، مكتبة مصباح، ١٩٨٩م، ص١٩٧.

ويرجع ذلك إلى تمسك الدول المتقدمة بقواعد وضعت في عهد الاستعمار تنص على ما يُسمى بالحق المكتسب، أي حق كل دولة في الاحتفاظ بالترددات التي حصلت عليها من قبل، حتى ولو كانت من حق دولة أخرى، مما يرسّخ تبعيتها الإعلامية للعالم الغربي، لا سيما وقد تم توزيع ترددات الطيف الكهرومغناطيسي في اتفاقات دولية أبرمت في غيبة معظم الدول الإسلامية، التي لم يترك لها إلا الفتات الذي لا يمكن أن يشبع احتياجاتها الإعلامية، لا من حيث تغطية ترابها الوطني، ولا من حيث قدرتها على الاتصال بالدول الأخرى، ولا من حيث إشباع احتياجات ومتطلبات التنمية، فضلاً عما يمثله ذلك من إجحاف لطرق استغلال الفضاء الجوي، وبهذا تصبح الدول الإسلامية والعربية هدفًا سهلاً للغزو الثقافي.

ونستطيع أن نقرر هنا أن الدول العربية والإسلامية لم تنجح حتى الآن في وضع سياسة إعلامية تترجم هويتنا الثقافية، ومعطياتنا الحضارية، وتوجهاتنا التربوية، على أسس من عقيدتنا وقيمنا وآمالنا في مواجهة هذه الهيمنة، ولم تستطع أن تحدد موقفها من العالم الذي أصبح يؤثر فيها، بدلاً من أن تؤثر هي فيه بسمو عقيدتها ونبل أخلاقها وسماحة دينها.

وسوف تؤثر البرامج التي تحمل الأفكار والعقائد الفاسدة -دون شك- على نفسية الجماهير وشخصياتهم من خلال انتشار المفاهيم

الاجتماعية والسلوكية الغريبة، وسيكون هذا التأثير كبيراً على الأطفال والصبية في مراحل الطفولة الأولى، لأن تعرّض أطفالنا إلى سيل لا ينقطع من مشاهد العنف والجنس والجريمة، إضافة إلى العقائد الفاسدة والأفكار المنحرفة التي تحملها رسائل البث المباشر، سوف يترك بصماته على سلوك أبناء المسلمين، سواء رَضُوا ذلك أو لم يَرْضَوا به، وقد يدفعهم ذلك إلى التصرفات غير المسؤولة والأعمال العدوانية بفعل غريزة التقليد والمحاكاة.

ومن أبرز أخطار البث المباشر، تأثيره على أخلاقيات وسلوكيات الجماهير في الدول الإسلامية المستقبلة له، وإثارة الطموحات الاستهلاكية لدى مواطنيها، وهي طموحات يصعب إشباعها في ضوء الموارد المتاحة.. كما أن هذا البث من شأنه أن يزيد الخلل القائم في تدفق المعلومات بين الدول التي تملك والدول التي لا تملك، والتي يقتصر دورها على التلقي مع عدم القدرة على إيصال ما لديها إلى الآخرين، إضافة إلى تهديد هويتها الدينية والثقافية.

وتمارس الدول الكبرى الدعاية الثقافية من خلال مؤسسات تعليمية وثقافية تخدم هذا الغرض، وعلى سبيل المثال فإن الولايات المتحدة تمارس الدعاية الثقافية من خلال هيئة الاستعلامات الأمريكية، والمكتبات التي تقيمها في عدد من الدول الأجنبية، بالإضافة إلى نشر النظم التعليمية الأمريكية واللغة الإنجليزية، وتقديم المنح الدراسية، واستيعاب طلاب

الدول الأخرى في الجامعات والمؤسسات التعليمية الأمريكية، إضافة إلى الأنشطة الثقافية الأخرى التي تمارسها الولايات المتحدة مع هذه الدول(١).

وهذا بدوره يقودنا إلى الحديث عن الإعلام ومفهوم الأمن، فالأمن في المجتمعات الحديثة لم يعد قضية بوليسية في المقام الأول، ولكنه أصبح قضية متشابكة يتبوأ الإعلام أبرز ركائزها.. وقد أثيرت هذه المشكلة بأبعادها المختلفة بعد انتقال هذا البث من مجرد تطبيقات محدودة إلى الانتشار الواسع عبر العالم كله.

وفي الحقيقة، أن مواجهة الغزو الثقافي لن يكتب لها النجاح إلا من خلال تحصين الجماهير ضد هذا الغزو، وإصلاح أجهزة الإعلام في العالم الإسلامي، لتكون في الوضع الذي يمكّنها من الوقوف في مواجهة عمليات الإبهار والجذب الشديد الذي تمارسه قنوات البث الفضائية الأجنبية، بكل ما تملك من تقنيات عالية وتكنولوجيا متقدمة.

إلا أنه على الرغم من ذلك، ومع التطور الكبير في تكنولوجيا الأقمار الصناعية، فإن الفرصة لا تزال متاحة لإطلاق أقمار البث المباشر التي تخدم الإسلام والمسلمين.

والدول الإسلامية تستطيع أن تستثمر شبكات الأقمار الصناعية والبث التلفزيوني المباشر وغير المباشر في مجال تبادل الخبرات، وتدريس

---

(١) محمد علي العويني: الإعلام الدولي بين النظرية والتطبيق، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٠م، ص٩٥.

اللغات، وتدريب المعلمين، وتعليم الكبار، ومحو الأمية، والتدريب المهني، والإرشاد الزراعي والصحي، والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتبادل البرامج الثقافية والفنية، كما يمكن استخدام إمكانات هذه الشبكات في تذليل العقبات التي تعترض سبيل الخدمة التعليمية، خاصة في المناطق الريفية والنائية، وذلك إذا خلصت النوايا، وتوحدت الجهود، وبدأت هذه الدول بلا تردد أو توجس في الإعداد للمستقبل(١).

إنه من الأهمية بمكان السعي إلى امتلاك وإنشاء الشبكات الإعلامية الخاصة بعالمنا الإسلامي، وإمدادها بالكفاءات المدربة لتواجه بها منافسة الشبكات العالمية، وعدم ترك الساحة خالية لوسائل البث الوافد من الخارج، حتى يستطيع المتلقي المسلم أن يقارن بين الغث والسمين من البرامج، وحتى نستطيع أن نفتح أمام الأجيال الجديدة أبوابًا جديدة للمعرفة والثقافة، فالبث عبر الأقمار الصناعية في هذه الحالة لن يكون شرًا كله، بل يمكن أن يكون مفيدًا إذا ما أعرض المشاهد بإرادته عما يخدش الحياء، وما لا يتفق مع عاداته وتقاليده وعقائده، ويقبل على ما يراه مفيدًا ونافعًا، ولن يتأتى ذلك إلا في حالة وجود البديل الأقوى تأثيرًا والأشد جاذبية.

---

(١) راسم الجمال، المرجع السابق، ص٢١٧.

ثالثًا: إشكالية الاختلال الإعلامي وانعدام التوازن في تدفق المعلومات:

وتكمن هذه الإشكالية في ظاهرة انعدام العدالة في تبادل المعلومات بين الدول الكبرى غير الإسلامية والدول الإسلامية، مما جعل معظم البلاد الإسلامية مجرد بلاد مستهلكة للمعلومات التي تصدر إليها. وتتضح الخطورة هنا إذا أخذنا في الاعتبار الهيمنة الفكرية التي تفرضها الدول الكبرى بسبب سيطرتها على قنوات الاتصال الدولية عن طريق الاستثمار المباشر فيها، وعن طريق هيمنتها على وكالات الأنباء ووكالات الإعلان، حتى أصبحت عملية الإعلان في الصحف والمجلات والتلفزيون والإذاعة وعملية التمويل للأجهزة الفنية، بمثابة أساليب للسيطرة الثقافية، وكثيراً ما تسيء هذه العملية إلى ثقافة البلد المستقبل وتشوه تاريخه وحضارته.

إنه من المؤسف حقًا أن نظام الإعلام العالمي الحالي -بل وحتى المستقبلي القريب- يتسم باختلال ظاهر، بسبب عدم التوازن الذي فرضته الدول الكبرى على عملية تبادل المعلومات، حتى أصبحت معظم البلاد النامية -وبصورة خاصة في عالمنا الإسلامي- مجرد بلاد مستهلكة للمعلومات التي تصدر إليها.

ولعل الصورة تكون أشد خطورة، والهوة أكثر اتساعًا، إذا أخذنا في الاعتبار عصر الفضاء واستخدام الأقمار الصناعية، وهنا تبرز المشكلة

بصورة واضحة، لأن الدول المتقدمة حصلت على نصيب الأسد في مجال توزيع الذبذبات، وعمدت إلى ترسيخ هذا الحق عن طريق مادة تنص في نظام الإذاعات على بقاء المصالح المكتسبة.

ولهذا وقعت الدول الإسلامية في ورطة وأخذت تعاني من معضلات حقيقية وهي تبني محطاتها الإذاعية الجديدة، لأن جميع الذبذبات محتكرة، ولن تستطيع هذه الدول الحصول إلا على ذبذبات رديئة لا تفي حتى بالحد الأدنى اللازم لبث إذاعي جيد، وتمكنت الدول الكبرى أن تسيطر على الفضاء الوطني لهذه البلاد، وتحرمها من حقها في الانتشار داخل مجموعتها القومية، أو السياسية، فضلاً عن الانتشار في العالم، حيث سارعت الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة إلى احتلال المواقع الرئيسة في المدار الثابت الحالي، مما أثار قلق الدول الإسلامية التي تكافح كي تجد لها مكانًا مناسبًا في الفضاء(١).

ومما لا شك فيه أن هذا الاختلال في تدفق المعلومات على النطاق الدولي يعد واحداً من أبرز مظاهر التفاوت القائم في شتى المجالات، هذا التفاوت الذي يمنح الدول الأقوى القدرة على السيطرة وتوجيه النظام الإعلامي الدولي لصالحها، في الوقت الذي تعرقل فيه الجهود التي تبذلها أطراف أخرى لتحقيق الحد الأدنى لمتطلباتها في الاتصال والمعرفة(٢).

(١) محمد عبده يماني: المرجع السابق، ص٢٢٩.

(٢) راسم محمد الجمال: دراسات في الإعلام الدولي، جدة، دار الشروق، ١٩٨٥م، ص١٦٠.

في ضوء هذا المناخ المفتقد للعدالة في نظم الاتصال العالمية، فإن الخطط الدعوية والإعلامية التي تحمل رسالة الحق والعدل بين البشر، وتتوجه إلى الفكر الواعي في الإنسان، وتنشر السلام والمحبة بين الناس، تنزوي وتتوارى، مفتقدة الإمكانات المادية والوسائل التقنية الحديثة، والكوادر البشرية المؤهلة والقادرة على حمل رسالة الحق ونشرها في مشارق الأرض ومغاربها، مما يصبح -معه- من الصعب إبلاغ الناس بتلك الرسالة الخالدة التي حملها إليهم رسل الله جميعًا.

وفي ظل هذا الاختلال الظالم فإن الدول الإسلامية مطالبة بإيجاد حل لمشكلاتها الإعلامية، من خلال بذل الجهود الجادة والمخلصة للتغلب على هذه الهيمنة وهذا الاختلال الإعلامي، وتضع نصب عينيها الاستفادة من المستجدات العلمية ومعطيات العصر، وتضع خططها على قواعدعلمية وأسس منهجية، وتعتمد على الطاقات البشرية المؤمنة، والقادرة على استخدام الوسائل المناسبة في الوقت المناسب، وفي الظرف الاتصالي المناسب، للشرائح الجماهيرية المختلفة.

رابعًا: إشكالية العلمانية والتغريب في العالم الإسلامي:

أفرزت الساحة العربية الإسلامية المعاصرة عدداً من الذين تعلّموا في الخارج، وانبهروا بالنمط الغربي في أسلوب العمل والحياة، وبدلاً من أن يعملوا على مساعدة بلادهم وتحديث الحياة فيها، وينهضوا بالمجتمعات

التي علمتهم وأنفقت عليهم، وتحملت من أجلهم الكثير، ويردوا الدين للأيادي التي ساعدتهم والقلوب التي آزرتهم، نراهم وقد تملّكهم الغرور، وارتدوا قبعات الغرب، ولبسوا أقنعته، وتعالوا على أهلهم وذويهم الذين ضحوا من أجلهم، وحرموا أنفسهم ليتيحوا لهم فرص التعليم والترقي.

ولم يكتف هؤلاء بالتعالي والصلف والغرور، بل سوّلت لهم أنفسهم التطاول على ثوابت العقيدة، وراحوا ينادون بتطويرها كي تتوافق مع متغيرات العصر، ويسخرون من المؤمنين الذين يعملون في صمت العابدين، ويعبدون الله بجهد العاملين، لا ذنب لهم إلا أنهم تحملوا هموم أوطانهم، وتسلط مترفيهم، وظلم جلاديهم.

فهذا يطالب بتطوير العلاقة بين الشاب والفتاة لتكون علاقة متحضرة، كحضارة الأمم القوية، وإبطال العمل بأحكام الدين، كتعدد الزوجات وارتداء الحجاب، بدعوى أنه يكفي ما عانته المرأة من ظلم الرجل المسلم سنوات طويلة، حتى حولّها إلى دمية أو قطعة أثاث يضعها حيث يشاء.. وذاك يطالب بإباحة الخمور والفجور تماشياً مع نمط الحرية التي يعيشها الإنسان في دول غزت الفضاء، وسيطرت على الكواكب، وقهرت الأرض والجبال، وأطلقت للإنسان حرية الخلق والابتكار.. وآخر يدافع عن المعاملات الربوية باعتبارها نظامًا عالميًا لا يمكن للشعوب أن تنهض بدونه، وإلا فإنها سوف تسقط في مستنقع الفقر والفاقة.

وهم يطالبون «بعصرنة» الدين، وتهميش علومه في المناهج العلمية بالمدارس والمعاهد والجامعات، حتى تتحول هذه العلوم إلى مواد مساعدة لا يهتم بها الطالب، كما ينادون بفصل علوم الإسلام عن علوم الحياة، فيكون هناك قانون إسلامي وقانون مدني، واقتصاد إسلامي واقتصاد غير إسلامي، وتربية إسلامية وأخرى غير إسلامية!

وهنا نقول لهؤلاء الذين يرون في الدين وعلومه حجر عثرة في سبيل التقدم الذي ينشدونه: ماذا لو تم «تديين» العصر بدلاً من عصرنة الدين؟ و«تديين» العصر، يعني الانطلاق إلى علوم العصر وفنونه وتقنياته، وحفز العلماء والباحثين إلى الإبداع والابتكار والتحديث، من منطلقات دينية، لتحقيق الخير والفضيلة لشعوبهم.

إن «تديين» العصر لا يعني التخلف والجمود، كما أنه لا يعني توظيف القنوات الفضائية والأسلحة النووية وعلوم الطب والأحياء لتدمير الإنسان، وهو لا يعني الظلم والتسلط والفساد، واستغلال النفوذ والسلطان والمال لقهر الفقراء وقمع الضعفاء وتسلط الأغنياء.. إن الدين حين يحكم، فهذا يعني حكم الفضيلة والأخلاق والمثل العليا، والارتقاء بالإنسان، وإثراء قيمه الروحية، ودفعه إلى إعمار الكون واستكشاف كنوزه والإفادة منها.

وفي هذا الإطار يمكن أن ينطلق المبدعون إلى آفاق الحياة الرحبة في البر والبحر والجو لاستكشاف كنوزها، واستثمار ملكاتهم لخير الإنسان

بدلاً من توظيفها للتسلط والظلم والفساد، وهذا ما حققه المسلمون حين كانت لهم السيادة والريادة العلمية، فقد كانوا نماذج متفردة في العلوم والفنون، وقد نشروها أينما حلت أقدامهم، وتسربت عنهم إلى أوروبا، فكانوا سبباً في نهضتها وارتقائها. وتؤكد أحداث التاريخ أنه لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا الحديثة عدة قرون، ويكفي أن نعرف أن ترجمات العرب العلمية كانت هي المصدر الوحيد للتدريس في جامعات الغرب نحو ستة قرون.

خامسًا: إشكالية التنصير والتبشير والاستشراق:

باستعراض النشاط التنصيري في البلاد الإسلامية، سنجدأن هذا النشاط لا يختلف في حقيقته وغاياته، ولكنه يختلف من حيث الظهور والخفاء، والزيادة والنقصان، والقوة والضعف، وذلك حسب الوقت الذي يعيش فيه المنصّر، ففي المرحلة الأولى –حين كانت البلاد الإسلامية والعربية غير واقعة تحت سيطرة الاستعمار الأوروبي– كان التنصير يسير بتؤدة وبطء، ويتصف بالخفاء.. أما في المرحلة الثانية –حين وقعت تلك الدول تحت سيطرة الاستعمار الأوروبي– فقد أخذ التنصير صفة العلانية تحت حماية الاستعمار، حيث قام المنصرون بتكثيف الجهود لمهاجمة الإسلام علانية، وكان هدفهم من ذلك هو توهين الروح المعنوية للمسلمين، وإضعاف العقيدة الدينية في قلوب المؤمنين بها، حيث يستثمر المنصرون أساليب الغزو الحديثة والظروف الاقتصادية

والاجتماعية السائدة في المجتمعات الإسلامية، مستهدفين من وراء ذلك إضعاف العقيدة في قلوب أبنائها -وقد خطوا في ذلك خطوات تدعو المسلمين للأسف على أنفسهم- وهذه الغاية، تشحذ لها المنظمات التنصيرية الجهود الكبيرة، وترصد لها الأموال الطائلة، وتجند لها الأعداد الهائلة من المبشرين. ومهما اختلفت الآراء في نتائج أعمال المنصرين، فإن نزع العقيدة الإسلامية من نفوس أهلها، هو الهدف الاستراتيجي الذي تسعى الخطط التنصيرية لتحقيقه.

وتدير هذه الإرساليات أعمالها بتخطيط محكم، ونظام دقيق، وأساليب جذابة، وتقوم ببث أفكارها من خلال برامج اللغات الأوروبية.

هذا وقد دخل المبشرون الكاثوليك ربوع إفريقيا منذ بداية القرن الخامس عشر الميلادي، في أعقاب الكشوف الجغرافية البرتغالية، وتلا ذلك إرساليات التبشير البروتستانتية في إفريقيا الغربية، التي كانت تتم عن طريق جمعية الكنيسة البروتستانتية.. ومنذ عام ١٨٧٨م اتجهت الإرساليات التبشيرية إلى إفريقيا الوسطى، وانتشرت بعد ذلك في دول المغرب العربي مرافقة للبعثات الطبية والتعليمية والثقافية(١).

وقد زاد عدد إرساليات التنصير زيادة كبيرة في تلك المرحلة، وشملت هذه الزيادة كثيراً من البلاد العربية والإسلامية، وكانت مهمة

---

(١) محمد العويني: الإعلام الإسلامي الدولي بين النظرية والتطبيق، ط٢، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٨م، ص٤٧ . ٤٨.

تلك الإرساليات هي إغراء الكثير من الشباب المسلم والفتيات المسلمات الفقراء بالمال، ليتركوا الإسلام ويعتنقوا النصرانية، وقد تحولت أعداد من هؤلاء الشباب عن الإسلام في أول الأمر، قبل أن يكتشفوا حقيقة المنصرين وغاياتهم، وقد بلغ عدد المنصرين عام ١٩٣٢م: (٩٨٣٨٨) منصراً ومنصرة، وكانوا يشرفون على ٨١ مؤسسة تعليمية، بالإضافة إلى ١١٣ مدرسة وروضة أطفال، و٥٠٠ مستشفى، و١٠٢٤ صيدلية، وكان لكل إرسالية تنصيرية -في كل بلد من البلاد الإسلامية والعربية- عدة فروع تعمل حسب خطة ووفق نظام محكم[١].

وإذا حاولنا المقارنة بين الإرساليات التبشيرية في القرون الماضية وإرساليات هذا القرن، نقول: إن الأولى استمدت قوتها من القوى الاستعمارية الغازية لبلاد العالم المختلفة، أما الآن فإن هذه الإرساليات تقوم بتطوير نفسها كي تتوافق مع الظروف المعاصرة، ولعل أبرز مظاهر هذا التطور هو تقديم الخدمات الصحية والتعليمية، بالإضافة إلى المعونات الغذائية والدعم الاقتصادي.

ونضيف إلى جهود المنصرين أعمال المستشرقين، بكل ما تحمله من تداعيات تترك آثاراً قوية على الفكر الإسلامي الحديث -أردنا ذلك أم لم نرد- وهو ما لا يجوز تجاهله أو الاكتفاء برفضه، وكأننا بذلك قد

---

(١) أحمد البساطي: الإعلام الإسلامي والتبشير، القاهرة، مركز صالح كامل للدراسات الاقتصادية، ١٩٩٢م، ص٢٨٠.

قمنا بحل المشكلة.. إننا لو فعلنا ذلك لكنا كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمال، ولهذا فلا بديل عن مواجهة هذه المشكلة من خلال البحث الدؤوب والدراسة الجادة، لمعرفة المؤثرات الحقيقية لموقف الغرب من الإسلام، فالصورة السائدة عن الإسلام اليوم هناك ليست صورة وقتية أو عارضة، وإنما هي صورة صاغتها قرون طويلة من الصراع الفكري والتحدي الحضاري.

وفي ضوء ذلك فإن أجهزتنا الإعلامية مطالبة بوضع برنامج علمي سليم يسير في اتجاهين متوازيين: أحدهما يكمن في توضيح المفاهيم الإسلامية الصحيحة، والكشف عن الأخطاء الشائعة حول الدين الإسلامي، والثاني يتم من خلال مناقشة الأفكار الاستشراقية، وإعداد الردود عليها.. والأمر يقتضي إعداد خطة إعلامية جادة للكشف عن الحقائق، وتعرية الزيف، ومواجهة الحملات الظالمة التي تستند إلى ما يشيعه بعض المستشرقين -منذ القرون الوسطى- من آراء مغلوطة حول الإسلام والقضايا الإسلامية(١).

وتؤدي المنظمات الإذاعية المسيحية الموجهة إلى العالم الإسلامي دوراً كبيراً في مجال الإعلام التنصيري الفعال، ومن أبرز هذه المنظمات(٢):

---

(١) محمود حمدي زقزوق: الإعلام الإسلامي في مواجهة الاستشراق، القاهرة، مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، ١٩٩٢م، ص٣٢٩.

(٢) علي عجوة: المرجع السابق، ص٤٦١.

١ ـ الرابطة الدولية الكاثوليكية للراديو التلفزيون.

٢ ـ الرابطة العالمية للإذاعة المسيحية.

٣ ـ الرابطة الدولية للإذاعيين المسيحيين.

٤ ـ المنظمة الدولية للإعلام المسيحي.

٥ ـ راديو الفاتيكان: وهو صوت دولة الفاتيكان الكاثوليكية الرسمي، وقد بدأ إرساله عام ١٩٣١م، ويذيع بثلاثين لغة -من بينها اللغة العربية بصفة خاصة- ويوجه بثه إلى الشرق الأوسط والشمال الإفريقي.

٦ ـ صوت الإنجيل Voice of Gospel : وتبث هذه الإذاعة برامجها من أديس أبابا عاصمة إثيوبيا، ويوجد لها استوديوهات في نيجيريا وتنزانيا والكاميرون ومالاجاش وأديس أبابا، وتبث هذه الإذاعة ٢٠ ساعة يوميًا باللغة العربية، مما يكشف عن توجهاتها التي تستهدف المسلمين العرب والأفارقة.

٧ ـ إذاعة «بالحب الأبدي نكسب إفريقيا»: Eternal Love Winning Africa، وهي من أشهر الإذاعات المسيحية الموجهة إلى إفريقيا(١).

---

(١) شاهناز بسيوني: الإذاعات الدينية والصراع الدعائي الدولي في إفريقيا (مجلة بحوث الاتصال)، جامعة القاهرة، العدد الثالث، ١٩٩٠م، ص١١٨، ١٢٦.

٨ ـ **إذاعة مونت كارلو**: وهي إذاعة تبدو في ظاهرها مجرد إذاعة تجارية، لكنها في حقيقة الأمر إذاعة لها توجهاتها السياسية المعادية، والتبشيرية الواضحة، وهي إذاعة سرية سوداء، تتسلل إلى عقول المستمعين في وقت متأخر من الليل، وتجعل من بثها العادي أشبه بالمباريات الفنية الترفيهية الجذابة، وتتميز بالسرعة والحيوية، مع تفريغ المضمون الإعلامي من أية توجهات ذات مغزى إيجابي، بل إن هذا المضمون يُفقد المواطن هويته وانتماءه إلى بيئته، وينحاز إلى جانب السطحية واللامبالاة، فيرقص ويغني الأغاني الأجنبية متخليًا عن تراثه وثقافته، ثم يتحول بعد ذلك إلى مسخ مشوه.

وتقوم تلك الإذاعة بتحويل المستمعين عن إذاعاتهم القومية والوطنية إلى تلك الإذاعة التي تقدم لهم دعوة مفتوحة لإضاعة الوقت والاستهلاك الترفي، وتبلغ قوة هذه المحطة ١٤٠٠ كيلووات، وتستخدم ٣٠ لغة على مدى ٢٤ ساعة، تذيع منها سبع عشرة ساعة كاملة باللغة العربية، مما يؤكد أن جمهورها المستهدف هو المنطقة الإسلامية بصفة عام والمنطقة العربية بصفة خاصة.. ولهذه المحطة محطة ترحيل Relay Station في الشرق الأوسط، وقد كان مقرها لبنان، ثم انتقلت إلى قبرص عام ١٩٧٧م، بسبب أحداث الحرب الأهلية اللبنانية التي نشبت عام ١٩٧٥م، وهذه الإذاعة مملوكة للحكومة الفرنسية، وكانت في البداية مجرد إذاعة

إعلانات وموسيقى غربية وشرقية وأغان، لكنها تذيع الأخبار والتحقيقات والتمثيليات والتعليقات السياسية وبرامج المنوعات[1].

١٠ - إذاعة صوت طنجة: وهذه الإذاعة من أوائل الإذاعات التي قامت بتوجيه برامج تبشيرية باللغة العربية إلى الناطقين بها، وقد بدأت بثها من مدينة طنجة بالمملكة المغربية عام ١٩٥٤م، على يد أحد القساوسة الأمريكيين الذين عملوا بالتبشير في الدول العربية، واستخدمت جهاز إرسال قوته ١٠ كيلووات مستهدفة الوصول إلى إفريقيا، وقد حل محلها اليوم راديو عبر العالم Trans World Radio، وتقوم بالبث من إذاعة مونت كارلو، مما يشير إلى نشاطها التنصيري[2].

١١ - راديو إلوا Elwa: وقد أنشأت هذه المحطة بعثة تبشيرية أمريكية عام ١٩٥٤م، واتخذت من مونروفيا عاصمة ليبيريا مقراً لها، وتذيع هذه المحطة بأكثر من خمسين لغة، ويغلب على جميع برامجها الصفة الدينية المسيحية، كما أقامت عام ١٩٦٨م محطتين جديدتين لتقوية إرسالها الموجه للمنطقة العربية والإسلامية، وتقوم هذه المحطة بإنتاج برامج لمحطات تبشيرية أخرى توجه برامجها إلى المنطقة العربية[3].

وهذا يؤكد أن العالم الإسلامي محاط من كل جانب بإذاعات دولية موجهة تستهدف الإنسان المسلم أساساً.. ولم يتوقف هذا الحصار يوماً،

---

(١) عبد المجيد شكري: المرجع السابق، ص٤٨٣.

(٢) ماجي الحلواني: مدخل إلى الإذاعات الموجهة، دار الفكر العربي، ط١، القاهرة، ١٩٨٣م.

(٣) المرجع السابق.

بل لقد دخلت الإذاعة المرئية الساحة بكل قوة، باستخدام كل جديد في عالم الاتصال، ومنها[1]:

١ ـ الشبكة العالمية الأمريكية World Net.

٢ ـ اتحاد الإذاعات الأوروبية Univision U. V.

٣ ـ القناة الفرنسية C.F.I

٤ ـ شبكة الأخبار الأمريكية C.N.N

٥ ـ تلفزيون الإذاعة العالمية لهيئة الإذاعة البريطانية World Service Television W. S. T: وهي شبكة إخبارية مثل شبكة CNN تشترط على الدول التي لها الحق في نقل برامجها ألا تقوم بأية أعمال رقابية على هذه المواد، وقد بدأ إرسال الشبكة الإنجليزية بإرسال مدته ساعتان، وابتداء من ١٥ نوفمبر ١٩٩١م، أصبح الإرسال يتم لمدة أربع وعشرين ساعة، مع إمكانات البث الأرضي والكابلي والأقمار الصناعية.

وتستهدف هذه القنوات: تنشيط التعاون بين المؤسسات الإذاعية والتلفزيونية التنصيرية في مختلف المجالات، وتوسيع نطاق عملها، وتحقيق التعاون بينها، وإتاحة الفرصة لمناقشة قضاياها المشتركة، وتفعيل جهودها الرامية إلى نشر الديانة المسيحية عن طريق إعداد الدراسات وإجراء الأبحاث التي تحقق لها الفاعلية.

---

(١) عبد المجيد شكري: المرجع السابق، ص٤٨٥.

وتعمل هذه المؤسسات بتوجيه من مراكز الاستديوهات والإنتاج والأقسام الدينية في الإذاعات الحكومية والإذاعات الدولية المسيحية.. ومن أبرز مراكز واستديوهات الإنتاج التي تضطلع بهذا الدور: مركز الإنتاج الموجود في زامبيا، ويقوم بإعداد المواد الدينية اللازمة لجميع وسائل الاتصال، وقد أنشأته الهيئة التبشيرية عام ١٩٧٠م، ويعمل بالتنسيق مع حكومة زامبيا والهيئات الكنسية المحلية والدولية؛ ومركز «تلبستار» في زائير، ويقوم بإنتاج برامج تنموية في مجالات التعليم والصحة والزراعة من منظور مسيحي، ويضم قسمين، أحدهما لإنتاج مواد الراديو، والآخر لإنتاج مواد الفيديو(١).

أما بالنسبة لاستديوهات الإنتاج، فهي استديوهات مجهزة تجهيزاً كاملاً، وموجودة في المناطق المستهدفة، وتختص بإنتاج المواد الإعلامية، وإرسالها إلى المحطات الإذاعية كي تذيعها في تلك المناطق.

ويوجد قسم ديني في معظم إذاعات الدول الإفريقية الواقعة جنوب الصحراء، يعمل بالتنسيق مع المسؤولين عن التبشير في البلاد المستهدفة، ويضطلع الإعلاميون في هذه الأقسام بمهامهم متعاونين في ذلك مع المبشرين الذين تلقوا تعليماً دينياً داخل إفريقيا أو خارجها.

---

(١) السيد عليوة: استراتيجية الإعلام العربي، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٨م، ص٢١٠.

وإلى جانب الإذاعات الدينية تقوم المؤسسات الكنسية في الدول الإسلامية بالنشاط التبشيري من خلال الخدمات الاجتماعية، وتوزيع المنشورات والكتب، وإصدار الصحف المسيحية.

وفي المقابل فإننا إذا استعرضنا أحوال وسائل الإعلام في البلاد الإسلامية، سنجد أنها تعتمد على الفكر الأجنبي، وهي وسائل غير قادرة على المواجهة وتصحيح الصورة النمطية الخاطئة عن الإسلام والمسلمين في العالم، مما جعل العالم الإسلامي، يتم حصاره بمجموعة من الإذاعات المسموعة والمرئية التي تنفذ أدواراً مخططة للتبشير والتشكيك في العقيدة، والافتراء على الواقع الإسلامي، بهدف القضاء على المشروع الإسلامي الحضاري الذي تتبناه الأمة.

وإذا أضفنا إلى ذلك الرسائل، التي تبثها الشبكات العالمية التابعة للدول المعادية للإسلام والمسلمين، سيتضح لنا حجم الضغوط الدولية التي تعمل على طمس الهوية الإسلامية، وتفريغ الإنسان المسلم من جوهره، وقطع الروابط الدينية بينه وبين أصوله.

وقد وجهت هيئة الإغاثة العالمية نداء إلى جميع المسلمين في العالم أن يتعاونوا لإنقاذ إفريقيا المسلمة من خطر التنصير، ويذكر النداء أن نسبة المسلمين في «مالاوي» قد انخفضت من ٧٠٪ إلى ٣٠٪ نتيجة الحملات التبشيرية، وأن مركز التبشير في «داكار» عاصمة السنغال

وحدها يعمل به ٢٥,٠٠٠ ألف قسيس وراهب، وأن هناك ٦٥ مليون مسلم في إفريقيا معرضون للارتداد عن الدين الإسلامي، بسبب المجاعات والأمراض، وغيبة الدعاة، وغيبة الإعلام الإسلامي[١].

وهكذا يتضح لنا مدى بشاعة الخطر المحدق الذي تتعرض له الأمة الإسلامية، نضعه أمام صناع القرار الإعلامي في العالم الإسلامي، كي يتحملوا مسؤولياتهم الدقيقة في هذا الصدد، ويستثمروا الطاقات المتاحة والإمكانات الممكنة لمواجهة هذه الأخطار المحدقة بالإسلام والمسلمين.

سادسًا: إشكالية الدعاية الصهيونية:

توظف إسرائيل الجاليات اليهودية المنتشرة في جميع أنحاء العالم لتحقيق أغراضها، تلك الجاليات التي تبلغ خمسة ملايين يهودي في أمريكا الشمالية، وثلاثة ملايين فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي وأوربا الشرقية، ومليونين في أوربا الغربية، ونحو مليونين آخرين في باقي القارات.. وتستغل الدعاية الصهيونية هذه الجاليات التي تتغلغل في المواقع الهامة والمراكز الحساسة في العالم، وتهيمن على مراكز الثقافة والإعلام، وتسيطر على مجال المال وقطاع المصارف والأعمال، للتحكم في مراكز صنع القرار في العالم، وكسب الرأي العام العالمي لصالحها.

(١) مرعي مدكور: الإعلام الإسلامي وخطر التدفق الإعلامي الدولي، دار الصحوة للنشر، القاهرة،١٩٨٨م.

كما تستغل إسرائيل المنظمات غير الحكومية، كالوكالة اليهودية التي تعرف بالمنظمة الصهيونية العالمية، والهستدروت (اتحاد عمال إسرائيل)، الذي يشرف على المعهد الإفريقي الآسيوي، ويصدر عشرات من الصحف والمطبوعات، ويرسل ويستقبل عشرات النقابيين من القيادات العمالية، إضافة إلى الأحزاب السياسية في الداخل والخارج. وقد نبَّه بعض الباحثين إلى نجاح الدعاية الصهيونية في إنشاء علاقات مع الأقليات الأخرى المسلمة المؤيدة للصهيونية في منطقة الشرق الأوسط، إضافة إلى التجمعات اليهودية في تركيا وأرمينيا، وغيرهم من الأقليات التي استطاعت أن تنصهر في حركة سرية واحدة من خلال النظام الماسوني الدولي. وهكذا نرى أن الدعاية الصهيونية تنهج النهج العلمي، وتستفيد من التجارب السابقة في مختلف العصور، وتلجأ إلى الإغراق الإعلامي والتنويع لتحقيق أهدافها العليا، والانتصار في صراعها مع العرب والمسلمين(١).

وتقيم الصهيونية العالمية خططها الإعلامية على حساب العرب والمسلمين، بما تقدمه من برامج جاذبة وأساليب متميزة، و«تكنيكات» متقدمة، ممزوجة بإغراءات مادية، عن طريق المسابقات وأساليب الإثارة المختلفة، والإعلانات الاستفزازية التي تسعى إلى تغيير أنماط السلوك والعادات والأعراف والقيم والثقافة، حتى يفقد المسلم هويته، ثم يتم

(١) علي عجوة: الإعلام الإسلامي في القرن الحادي والعشرين، القاهرة، مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، ١٩٩٢م، ص٤٦٥.

تفريغه من الداخل، وإصابته باللامبالاة، والعمل على تحييده إزاء قضاياه الأساسية.

وتمارس الصهيونية العالمية نشاطها الدعائي من خلال القنوات التالية:

١ - صوت إسرائيل: وهي أولى الإذاعات المعادية، التي تؤكد بإلحاح دعائي يومي أنها صوت إسرائيل من «أورشليم القدس»، تأكيداً لكون القدس عاصمة لإسرائيل.. «وصوت إسرائيل، مؤسسة مستقلة مرتبطة مباشرة برئيس الوزراء، وتذيع على ١٥ موجة من أربع محطات بعدة لغات، لمدة ٢٦٧ ساعة في الأسبوع، بمعدل ٣٨ ساعة يوميًا، ويلاحظ أن من بين تلك اللغات التي تبث بها اللغة الإيرانية، وهي موجهة للإيرانيين في بلادهم، وإلى طلبتهم في الخارج، واللغة السواحلية وهي لغة قبائل كثيرة في شرق إفريقيا، كما أن صوت إسرائيل تذيع برامجها العربية لمدة سبع ساعات يوميًا، وتشتمل على ست نشرات إخبارية وشريط أنباء، وبرامج ترفيهية، وتعليقات سياسية»[١].

٢ - الإذاعات الأمريكية الخاضعة للنفوذ الصهيوني: تنتشر المؤسسات والهيئات والإذاعات التي يسيطر عليها اللوبي الصهيوني في أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية كافة، التي يوجد فيها ٦٧٠٠ محطة إذاعة تجارية، وأكثر من ٧٠٠ محطة تلفزيونية، و١٥٠٠ صحيفة يومية،

(١) منذر عنتباوي: أضواء على الإعلام الإسرائيلي، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الدراسات الفلسطينية، ١٩٦٨م.

ومئات الدوريات، إضافة إلى محطة حكومية واحدة هي صوت أمريكا Voice of America التي تخضع هي الأخرى لتوجهات اللوبي الإسرائيلي، وتقوم بالدعاية ضد الحركات التحررية في العالم[١].

٣ـ محطة C.B.N: وهي شبكة البث المسيحية Christian Broadcasting Network، ويقع مركز هذه الشبكة في الولايات المتحدة، ويملكها «بات روبرتسون Bat Roperston»، الذي يؤمن بأن إسرائيل هي شعب الله المختار God's Favoured Nation، وهو يروج لهذه الفكرة إعلاميًا، من خلال البرنامج الذي يقدمه باسم نادي السبعمائة 700 Club، والذي يذاع عدة مرات يوميًا ومدته ساعة ونصف، من خلال ١٣٠ محطة تلفزيون عامة، و٦٥٠٠ محطة تلفزيون سلكية[٢].

وتمتلك هذه الشبكة محطة تلفزيون الشرق الأوسط Middle East Television في جنوب لبنان، إضافة إلى إذاعة صوت الأمل، وتلفزيون نجمة الأمل في الشريط الحدودي الذي تحتله إسرائيل في الجنوب اللبناني.. وتعمل هذه المحطات على تزيين صورة إسرائيل، وتقديمها على أنها دولة مقدسة، وتؤكد على أن الوقوف ضدها هو معارضة لله، لأن الله يبارك من يباركها، ويلعن من يلعنها.

(١) د. إبراهيم الداقوق: نظرة في إعلام العالم الثالث، مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج، سلسلة الكتب الإعلامية، مطبعة اليقظة، ١٩٨٢م.

(٢) محمد السماك: الإعلام الديني في الشرق الأوسط، مجلة الدراسات الإعلامية، القاهرة، العدد٦٦، يناير-مارس ١٩٩٢م.

سابعًا: إشكالية الصراعات والخلافات بين البلاد العربية والإسلامية:

إنه على الرغم من كل عوامل التوحد والانسجام التي تظلل المنطقة العربية منذ ظهور الإسلام حتى الآن، إلا أن الخلافات بين النظم العربية في العصور المختلفة كانت هي السمة المميزة لهذه الأمة، فبمجرد أن يزول الإحساس بالخطر المباشر الذي يهددها في وقت من الأوقات، تظهر بوادر الخلاف بين بعضها لأسباب واهية، ترتبط في أغلب الأحيان بصراع الزعامات على حكم هذه البلاد.

واتسمت العلاقات العربية بالانفعال والضوضاء، وممارسة دور الرقابة والمنع، فأساء العرب إلى أنفسهم أكثر مما أساء لهم الآخرون، فما أن تنشأ خصومة أو خلاف بين دولتين عربيتين أو إسلاميتين حتى تتحول العلاقة من تبادل القبلات والعناقات وعبارات المديح والثناء إلى الشتائم والقذف والتجريح، وتصل أحيانًا إلى الصدام المسلح.

وقد استفاد أعداء الإسلام من هذه الخاصية المميزة للشخصية العربية، فبدأوا منذ الحروب الصليبية في تغذية أسباب الخلاف، لإثارة الفتن، وتوجيه قوى الأمة لما فيه دمارها وتخلفها. وتمارس أجهزة الدعاية الدولية هذه الأساليب بكل شراسة ضد المسلمين، بهدف تشكيكهم في دينهم، واعتبار الإسلام هو السبب الرئيس في تخلفهم، ويبرهنون على ذلك بأن أكثر شعوب العالم فقرًا وتخلفًا وتشرذمًا وكراهية لبعضها، هي

الشعوب الإسلامية، وأكثر أنظمة الحكم استبداداً وظلمًا وقهراً لشعوبها هي الأنظمة التي يقودها مسلمون.. وفي هذا الإطار تستخدم الأنظمة الإعلامية المعادية عدة أساليب لتفتيت وحدة الأمة العربية وإضعافها، باعتبارها الحصن الأول للإسلام، من أبرزها ما يلي(١):

١ ـ اختلاق المشاكل السياسية على الحدود، أو على الثروة، أو نظم الحكم، لإثارة الفتن وبث الشائعات، والعمل على الإفادة من التناقضات الموجودة، وتزكية هذه الخلافات واستغلالها، ولعل من أبرز هذه الخلافات ما انتهى إلى غزو العراق للكويت، وما تبع ذلك من انقسام الأمة، وتبديد طاقاتها واستنزاف مواردها التي ظلت تبنيها خلال عشرات السنين، وبالإضافة إلى ذلك فقد عمّقت هذه الخلافات النفوذ الصهيوني في المنطقة العربية، وحطمت -إلى فترة طويلة- الآمال التي كانت معقودة عليها لمواجهة التحديات التي تواجهها، وإعادة بناء الإنسان المسلم على أسس صحيحة، كما أن هذه الصراعات قد تركت آثارها السلبية على العلاقات العربية والإسلامية.

٢ ـ العمل على إغراق المنطقة العربية بالخمور والمخدرات، ففي إطار المخطط المعادي للإسلام والمسلمين بلغت جملة الإنفاق على المخدرات والخمور في العالم العربي حسب الإحصاءات الرسمية الدولية، ٦٤ ألف مليون دولار سنويًا.

---

(١) علي عجوة: المرجع السابق، ص٤٦٥.

٣ ـ استغلال الأوضاع السياسية والاقتصادية المتردية في كثير من البلاد الإسلامية التي تقع تحت خط الفقر، وحاجة كثير من أفرادها إلى العون المادي، لتوجيه سياستها والتحكم في قرارها.

وتستثمر الخطط الدعائية المعادية، الجوانب السلبية الظاهرة، وتوظفها لتشويه صورة العرب والمسلمين، ومن أبرز هذه الجوانب ما يلي:

أ ـ ارتفاع نسبة الأمية، وانتشار الأمراض المتوطنة والمزمنة، دون مواجهة فعالة من جانب الحكومات للتصدي لهذه المشكلات.

ب ـ غلبة الأنظمة السياسية المتسلطة التي تفتقر إلى احترام الحريات الفردية، والتي لا تحفل بالشورى، ولا تعتمد الديمقراطية منهاجًا لها.

جـ ـ التخلف الإداري الذي يلقي بظلاله على معظم المؤسسات القائمة في العالمين العربي والإسلامي، وانتشار الرشوة والفساد والتواكل والسلبية واللامبالاة في كثير من قطاعات العمل والإنتاج.

د ـ السلوك غير السوي لبعض العرب والمسلمين في الدول الغربية، الذي يدعم الصورة النمطية السلبية التي تركز عليها وسائل الإعلام المعادية، وتعمل على إبرازها، وهي صورة تتناقض مع روح الإسلام، مما يؤدي إلى تشويه صورة المسلمين، والإساءة إلى ماضيهم وحاضرهم.

وتتحمل أجهزة الحكم ووسائل الإعلام ورجال الفكر، مسؤولية تصحيح هذه الصورة، وتعريف العالم بهويتنا الإعلامية والثقافية.

لقد آن الأوان لأن ينظر المسلمون إلى بعضهم في صفاء وتسامح دون تعصب، وأن ينبذوا عوامل الفرقة والتشتت، ويرسخوا أسباب الوحدة والتآلف، لتقديم صورة جيدة لواقع مشرق يسوده الوئام والحب والإخاء، من خلال تخطيط إعلامي مشترك يستفيد من الإمكانات المتاحة كافة.

ثامنًا: الحرب النفسية الموجهة ضد المسلمين:

تُعرَّف الحرب النفسية بأنها: استخدام مخطط من جانب دولة أو مجموعة من الدول، في وقت الحرب أو وقت السلم، لإجراءات إعلامية، بقصد التأثير في آراء وعواطف ومواقف وسلوك جماعات أجنبية معادية أو محايدة أو صديقة، بطريقة تساعد على تحقيق سيادة وأهداف الدولة المستخدمة للحرب النفسية.

كما تُعرَّف بأنها: نسيج من الإجراءات والتداخلات تصب في عُرف محدد، وهو إيصال الخصم إلى حالة من الاستسلام واليأس والقنوط.

والحرب النفسية هي أخطر أنواع الحروب المعاصرة، لأنها تزلزل العقول، وتبلبل الأفكار، فهي حرب أعصاب، وحرب كلمات، تقوم على تشويه الحقائق، والمبالغة في القول، مستخدمة في ذلك فنون الإقناع. وتعتمد بصفة أساسية على وسائل الاتصال وتقنيات المعلومات، وأساليب الإبداع، للتأثير في الشخصية الإنسانية.

وبصفة عامة فإن الحرب النفسية هي حرب أيديولوجية عقائدية، تستهدف تحطيم الروح المعنوية، عن طريق زلزلة الأفكار، وتغيير السلوك، واغتصاب العقول، وشل الإرادة، وزرع الهزيمة، وغسيل المخ Brain Washing عن طريق إعادة تشكيل الفكر الإنساني Human Thought Reformation، وهي عملية تغيير الاتجاهات النفسية عن طريق العمل على توجيه هذا الفكر ضد إرادة الفرد ومعتقداته، مستخدمة في ذلك معطيات علم النفس بصفة عامة وعلم النفس العسكري بصفة خاصة، لإحراز النصر، وتحقيق الأغراض المستهدفة. وتعتبر الحرب النفسية أمضىٰ سلاح تستخدمه الدول في الحرب الحديثة، لأنها تؤدي دوراً فعالاً في قتل إرادة العدو.

ومن أهم أساليب الحرب النفسية: نشر الشائعات، وإثارة القلق، وبث الفتن وعدم الاستقرار، وبث الرعب والهلع في صفوف الجماهير، وافتعال الأزمات، لتفتيت وحدة الأمة، وإحداث الفُرقة بين أبنائها، والتشكيك في صلاحيتها وقدراتها، وفي قيادتها، والعمل على كسب العناصر الانهزامية منها، بهدف زرع اليأس من النصر عن طريق المبالغة في وصف القوة ووصف الانتصارات، وكذلك المبالغة في وصف الهزائم، والتلويح بالتفوق العلمي والعسكري، حتى يشعر العدو أنه أمام قوة لا تقهر، وأن كل محاولاته محكوم عليها بالفشل، بهدف تشجيع القوات المعادية على الاستسلام وعدم المقاومة، وزعزعة إيمان العدو بمبادئه وأهدافه، وإضعاف الجبهة الداخلية، وإحداث ثغرات داخلها.

والحرب النفسية هي حرب باردة، ومن ثم فإنها تعمل كبديل للحرب الساخنة، وفي هذا يقول أحد وزراء الدفاع الإسرائيلي: «إننا نستهلك كمية كبيرة من الذخيرة الغالية لندمر بها موقعًا واحدًا من مواقع العدو، أليس من الأفضل والأرخص أن نستغل الدعاية والحرب النفسية لشل الأصابع التي تضغط على زناد هذا المدفع؟»

وهذا يدل على تراجع الحرب العسكرية لتقوم الحرب النفسية بتحقيق الأهداف نيابة عنها، حيث أصبحت الدول لا تلجأ للحروب العسكرية إلا بعد فشل كافة الجهود الأخرى -وعلى رأسها الحرب النفسية- التي أصبحت من أخطر أنواع الحروب في العصر الحديث، لا سيما وأن هذه الحرب لا تتكلف الأموال الطائلة التي تستهلكها الحرب الساخنة.

ومما يجدر ذكره هنا أن الشريعة الإسلامية قد سدت كل المداخل التي يتسلل منها العدو لشن الحرب النفسية ضد المسلمين -مهما بلغت شدتها وعنفها- من خلال زرع الإيمان المطلق في قلوبهم، وحثهم على مواجهة أعدائهم، وتأكيد الثقة بنصر الله ووعده، تصديقًا لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم:٤٧).

وقد واجه الرسول ﷺ والمسلمون الأوائل ألوانًا عديدة من الحرب النفسية، منها الحملات المكثفة من الشائعات التي يشنها الأعداء، والتشكيك في صحة العقيدة، والسخرية من الوحي، والاستهزاء

بالصحابة رضوان الله عليهم، إضافة إلى أن هذه الحروب كانت تتخذ شكلاً عنيفًا واسعًا كلما ازداد الإسلام قوة ومنعة.

وهنا يأتي دور الإعلام الدعوي ليتحمل مسؤوليته في تحصين المسلمين ضد أساليب الحرب النفسية، مستلهمًا في ذلك آيات القرآن الكريم التي تؤكد على المبادأة والاستعداد لمواجهة العدو، تصديقًا لقوله عز وجل: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠).

ولن تتحقق له القدرة على هذه المواجهة إلا بالعمل على تلافي السلبيات التي تشوب الواقع الإسلامي، وإطلاق حرية الإعلام، وتحديث وسائله.. ومواجهة هذا الواقع، تتطلب تخطيطًا علميًا، وتنسيقًا عمليًا، وإخلاصًا للنوايا، وجدية في التنفيذ، للتعامل مع كافة الظواهر والمستجدات التي تفرض نفسها على الساحة الدولية.. ولتحقيق ذلك، فلا بديل عن العمل الجاد الذي يأخذ في اعتباره الاستفادة من كل معطيات العصر، واستثمار متغيرات الحياة الحديثة في هذا الصدد، ولا سيما أن القوى المعادية تعتمد في حربها النفسية التي توجهها ضد المسلمين في كل مكان، على ما تملكه من أجهزة حديثة ووسائل متقدمة، مستثمرة في ذلك فنون الاتصال وتقنياته للسيطرة على الرأي

العام، وغسل الأدمغة، وتكوين الاتجاهات المتوافقة مع فكرها وأيديولوجياتها.

تاسعًا: إشكالية الكوادر الدعوية والإعلامية:

يأتي توافر المهارات الدعوية في مقدمة عوامل نجاح أو فشل الخطط الإعلامية.. وفي غيبة عناصر مؤمنة برسالتها، متفهمة لطبيعة عملها، دارسة لفنون الإعلام ونظريات الاتصال، عارفة بلغة الحوار والنقاش، يتوافر لها الذكاء والفطنة، والخلفية الثقافية، والموهبة الفطرية، والملكات الضرورية... أقول: في غيبة هذه العناصر، فإن خطط الإعلام الدعوي لن تستطيع تحقيق أهدافها، حتى لو توافرت لها الوسائل التقنية المتقدمة، والإمكانات المادية الكبيرة، لأنه إذا كان المضمون قويًا، وكانت وسيلة الإعلام المستخدمة تتمتع بقدرات فعالة، ثم تفتقر هذه الخطط إلى دعاة وإعلاميين متمرسين ،فإن هذا سيقضي حتمًا على كل احتمالات نجاح العمل الإعلامي، حتى لو كان الموضوع يعالج جوانب هامة، ويتناول قضايا حيوية.

ومن ثم فإن أجهزة الإعلام والدعوة الإسلامية، إذا لم تباشر العمل والإدارة والتخطيط، من خلال كوادر على المستوى العلمي والخلقي الرفيع، فإن المردود سوف يكون سلبيًا، ولن تستطيع الدعوة الإسلامية مواجهة خصومها، ويرجع ذلك إلى أن هذه الكوادر تتحمل مسؤولية

تصحيح الفكر الخاطئ، وتعديل السلوك المعوج، ووضع الأمور في نصابها الصحيح.

إن الداعية أو الإعلامي المسلم، يجب أن يعرف كيف يقرأ ويسمع ويشاهد ما يدور حوله بعين ناقدة وفكر نافذ، حتى يستطيع أن يؤدي دوره بكفاءة وفاعلية، ويجب أن يكتشف الطريقة الصحيحة للتعبير عن الفكرة التي لديه، والتي يستطيع أن يؤثر عن طريقها في أكبر عدد ممكن من الناس، لأن الإعلام الناجح يُشعر مستقبل الرسالة أن القائم بالاتصال يتحدث إليه حديثًا خاصًا، ولا يتأتي ذلك إلا إذا كان قادراً على فهم عقلية جمهوره، قريبًا منهم.

ذلك أن الكوادر الإعلامية القادرة على العمل في مجتمع صناعي، قد تفشل في العمل بمجتمع ريفي أو قَبَلِي، لأن كل مجتمع له عاداته وتقاليده وظروفه الخاصة التي تتطلب من الإعلامي الذي يتوجه إليه، قدرات من نوع معين، تمكنه من التأثير في فئة بعينها، وفي بيئة تختلف عما سواها.

وهذا يتطلب عناصر مؤهلة تأهيلاً علميًا صحيحًا، يمكنهم من الأداء الفعال والتأثير القوي، شريطة عدم الخوض إلا فيما هم به أدرى وأعلمُ، وذلك تأكيداً لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (الإسراء: ٣٦).

إننا اليوم في حاجة إلى دعاة يعرفون لغة العصر، وفنون الاتصال، والقدرة على الإقناع.. دعاة يستطيعون مخاطبة هذا العالم المتغير الذي لن يعتنق الإسلام إلا بعد اقتناع، ولن يتعاطف مع المسلمين إلا بعد فهم.. دعاة يقدمون الحكمة البالغة، ويضربون المثل الأعلى في القول والعمل، ويستطيعون مخاطبة العالم بفئاته المختلفة ودياناته المتعددة وثقافاته المتنوعة.

وقد أتاحت لنا التكنولوجيا المعاصرة فرصًا ذهبية لتحقيق هذا الهدف، فرصًا لم تتح لمصعب بن عمير ومعاذ بن جبل ودحية الكلبي، وغيرهم. ولو اكتشف هؤلاء الإذاعات والقنوات الفضائية ووسائل الاتصال الحديثة ما وسعهم إلا الاستعانة بها، وتوظيفها واستخدامها لتحقيق أهداف الدعوة الإسلامية.

وإذا كانت الصراحة طريقنا، والإسلام منهجنا، ورضاء الله غايتنا، فإنني أستطيع أن أقرر هنا: أن مناهج إعداد الدعاة في الكليات والمعاهد المعنية بذلك، في حاجة إلى إعادة نظر كاملة، كما أن خطط الدعوة الإسلامية تفتقر إلى أدنى درجات التخطيط والتنسيق والجدية. وعلى القائمين على هذه المناهج أن يعيدوا النظر في هذه الخطط والبرامج لتصحيح المسيرة، فالعالم قد تغير كثيراً حولنا، ولعل بعض ما كان يصلح بالأمس لا يوافق ما يكتنف حياتنا اليوم.

وتأسيسًا على ذلك فإن الداعية المسلم -أو رجل الإعلام الحصيف- يجب أن يركز اهتمامه في نقطتين أساسيتين هما[١]:

١ - أن يعرف ماذا يريد بعملية الاتصال.

٢ - أن يعرف كيف يوجه رسالته بما يمنحها أكبر قوة تأثير ممكنة.

وعلى من يتصدى للإعلام عن الإسلام، أن يعرف ما وراء الألفاظ، وأسرار الرموز التي تحمل مختلف المعاني، حتى يتمكن من توجيه هذه الرموز وتوظيفها التوظيف الأمثل لتحقيق الأغراض المستهدفة، ومواجهة الآثار المحتملة، لأن هذه الرموز لا تستخدم فقط للشرح والتوضيح، بل تستخدم أيضًا للخداع والإثارة والتعمية والتضليل، وإثارة الغرائز وإحداث الصراع، وزرع الخصومات، والحض على القتال، كما أنها لا تستخدم دائمًا في خلق روح التعاون والمحبة والسلام، كما هو الحال في الكلمات والعبارات التي حملت رسالات السماء[٢].

وبصفة عامة، فإن الدعاة ورجال الإعلام يجب أن يكونوا مزودين بمهارات الاتصال وعلوم الدعوة اللازمة لهم، لأن الدعاة الذين أُحسن تأهيلهم وتدريبهم، يستطيعون أن يفهموا الأهمية الاجتماعية للدور الملقى على عواتقهم، وأن يحددوا أهدافهم، ويحسنوا اختيار الوسيلة

(1) Emery, Edwin, Ault Philip and Agee Warren, Introduction to mass Communication, 3 rded, New York, Dodd Medd and Company, P.6.

(2) Alan H. Monoroe and Doglas: Principles of Speech Sixth ed. U.S.A. Scott Foresman and Company, 1969, P.37.

المناسبة لنقل أفكارهم، وأن يتابعوا الاهتمامات المتغيرة للناس، والمستويات المختلفة للجماعات التي تشكل جماهير المستقبلين لرسالتهم، ثم يقوموا بتكييف هذه الرسالة حسب متطلبات كل وسيلة، وحسب القدرات المختلفة لهذه الجماهير.. وأخيراً عليهم أن يعرفوا كل شيء عن المشاكل والقضايا، التي قام الباحثون بدراستها في مختلف المجالات.

وتتناسب المواصفات المطلوبة في هذه الكوادر مع الدور الخطير الملقى على عواتقهم، لأن مهمتهم لا تقتصر على تسجيل للتاريخ فحسب، ولكنهم يسهمون في صنع هذا التاريخ.. فالدعاة والعلماء هم ورثة الأنبياء -ومعلوم أن الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورّثوا الحكمة والعلم- وهم سفراء الأمة إلى الناس، يحملون أمانتها، ويبلغون رسالتها، والناس لهم تبع، فلابد أن يكونوا مؤمنين بالدعوة، لأن الإيمان هو الدافع للقوى الكامنة في نفس الإنسان.

وفي الجانب الآخر، فإن الإعلاميين إذا أغفلوا مسؤولياتهم الدعوية، وقاموا بشغل ساعات البث وصفحات الصحف بالغث من الموضوعات، فإن الأمر هنا يتجاوز تبديد الوقت أو المال أو الجهد إلى ترك آثار مدمرة على وجدان الجماهير وعقولهم، في حين أنهم إذا أخذوا على عواتقهم الارتقاء بالمستوى الفكري للجماهير، والتزموا بالموضوعية والتجرد في عرض البيانات ومعالجة قضايا الأمة، فإن النتائج التي يمكن أن تتحقق ستكون ذات مردود إيجابي في بناء الإنسان المسلم المتوازن.

عاشرًا: إشكالية النفاق في النشاط الإعلامي:

المنافقون فئة فقدت الضمير الإنساني، والحس الوطني، والدافع الديني، وإذا استعرضنا أحوال العالم الإسلامي عبر التاريخ فلن نجهد العقول كثيراً لاستشكاف هؤلاء الذين يصفقون للظلم كما يصفقون للعدل، ويهتفون للهزائم كما يهتفون للانتصارات، ويباركون الباطل كما يباركون الحق.

إنهم يتحالفون مع أعداء الله كما يتحالفون مع أولياء الله، لقضاء مصالحهم، والحفاظ على مكاسبهم، ويصورون الهزيمة نصراً، والفسق فنًا، والخراب بناء، وهم يلاحقون الحكام والرؤساء ليلاً ونهاراً، ويتظاهرون لهم بالمودة، فينام الزعيم على دقات طبولهم، ويستيقظ على أصوات هتافهم.. يحكمون الحصار حولهم، ويقطعون قنوات الاتصال بينهم وبين شعوبهم، فلا يسمعون إلا لهم، ولا يعرفون إلا منهم، فيعيش الزعماء بمعزل عن شعوبهم، لا تقدم لهم إلا الصور الوردية، والواقع المغلوط، والوجه الآخر للحقيقة.

وهذا الصنف من الناس، يتلون كالحرباء، في قلوبهم السم، وعلى ألسنتهم العسل، يقوم منهجهم على خداع كل من يتعامل معهم، حتى إنهم يظنون أنهم قادرون على خداع الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ

﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ (النساء: ١٤٢-١٤٣).

ومن أبرز علاماتهم الرياء، والرياء ينطوي على الخداع، وهو نوع من الشرك الخفي، لأنه ادعاء كاذب، حيث يزعم المرائي أقوالاً أو أفعالاً مخالفة للحقيقة، ليغري الناس ويستهويهم.. وهذا الصنف مولع بالأقنعة الكاذبة، ليخفي باطنه القبيح، ويتستر على نفسه الأمارة، فيواري الشر ويحسّن الباطل، وقد وصف الرسول ﷺ المنافقين بأنهم شر الناس، وذلك في قوله ﷺ: «**تجدونَ شرَّ الناسِ يومَ القيامةِ ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجهٍ وهؤلاء بوجه**»(١).

وهكذا ترى المنافق خادعًا للناس مخدوعًا لنفسه.. والرياء ثمرة فجة لاستحواذ الشيطان على المرء، فيغويه بالأباطيل، ويوقعه بالتلبيسات والأكاذيب، ويوهمه بأنه مركز الكون.. ومن الرياء حب الرئاسة، وتعظيم الذات، وتسخير الناس لتحقيق المصالح الشخصية.

وهذه النوعية من المنافقين فاقدة للجمال والصدق، وفاقد الشيء لا يعطيه، فهو وإن كان يتكلم كلامًا ظاهره الرحمة، لكن باطنه العذاب، كالذي يدس السم لضيفه، ويطعن أصدقاءه، وهو يكتسب الخداع بالتعود، فيعمي قلبه عن كل بصيرة، ويقع في شرك قناعاته فيعشق

(١) أبو داود، أدب، ٢٤.

نفسه، ولا يرى غير ذاته، حتى لو ظلم الناس جميعًا أو تجاوز كل ما هو مسموح له.

وقد حذّر الله منهم حتى لا نكشف لهم خططنا، ولا نطلعهم على أسرارنا، لأنها فئة فسدت قلوبهم، وامتلأت نفوسهم بالأفكار السقيمة، وخوت أفئدتهم من كل جوهر نقي، في حين أن مناظرهم وصورهم تبدو خلابة، تخدع من لا يعرف خبث نواياهم، فهم يظهرون الإيمان ويخفون الكفر، يصدقون بألسنتهم وينكرون بقلوبهم، يصبحون على حال ويمسون على غيره، يمارسون الكذب ويقولون ما لا يفعلون.. وتتضح خصلة النفاق بينهم بصورة جلية حين يقعون في مأزق، ويتعرضون لموقف صعب أو حادث جلل، وفي ذلك يقول عز وجل: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ (النساء:٦٢).

وفي الحقيقة، أن العمل الإعلامي يعاني من سيطرة المنافقين، وغير المؤهلين، والعناصر الانتهازية التي تجيد التملق والرياء والمداهنة، وقد استطاع العديد منهم أن يسيطر على أجهزة الاتصال، مما أسهم -بفاعلية- في تدهور الأوضاع الإعلامية في العالم الإسلامي.

وقد دفعت الأمة الثمن غاليًا من حاضرها ومستقبلها بسبب نشاط المنافقين، وتأثيرهم على صناع القرار.

- وإلا فما تفسير الظواهر السلبية والأوضاع المختلفة التي تسود أغلب بلدان العالم الإسلامي؟

- وما تفسير انتشار ظاهرة الفقر في مجتمعات تتوافر لها كل أسباب الثراء وعوامل الرفاهية؟

- وما تفسير انتشار الأمية والجهل في أمة حملت رسالة العلم، وعلّمت الدنيا كلها؟

- وما تفسير الضعف في أمة توافرت لها كل عناصر القوة وعوامل التفوق؟

ولن أكون مبالغًا في القول إذا ذكرتُ هنا أن اختيار العناصر الإعلامية لا يتم دائمًا على أسس موضوعية أو مقاييس علمية، ولكن الاعتبارات الشخصية تحتل المقام الأول في هذا الاختيار، وهنا تأتي أهمية استبعاد أئمة النفاق من هذا الميدان الخطير والمؤثر والمتغلغل في كل مكان.

إنها أعمال المنافقين، ونشاط الفسقة، وجهود المرائين، التي أثمرت أوضاعًا سلبية تدفع الأمة ثمنها غاليًا، وتجني ثمارها المريرة، وقد كان القرآن الكريم عظيمًا حين وضع المنافقين في الدرك الأسفل من النار، وبوأهم أحط مكانة في جهنم، وحكم عليهم بالمذلة والهزيمة، ثم نبّه المسلمين إلى شرهم المستطير.

وقد أكدت تجارب الأمم وأحداث التاريخ أنه لا سبيل لإنقاذ الأمة

الإسلامية من عثرتها إلا بتطهير المجتمع من هؤلاء المنافقين، لا سيما في أجهزة الدعوة ووسائل الإعلام.. وأخطر شرائح المنافقين، هؤلاء الذين يتخذون الدين سبيلاً لتحقيق مآربهم، ويرتدون لباس العلماء، وينصبون أنفسهم فقهاء، ويحكمون على هذا بالكفر وعلى ذاك بالجهل.

وإذا كانت آفة النفاق تمثل خطرًا حقيقيًا على حاضر الأمة ومستقبلها، فإن خطرها يمتد، وسلبيتها تتفاقم، ومردودها يتضاعف إذا استشرت في أجهزة صناع الفكر والرأي، وحين يسيطر المنافقون على أجهزة الإعلام، فإن هذه الأجهزة لا تستطيع أن تضطلع بالمهمة التي قامت من أجلها، وهي التعبير الحقيقي عن إرادة الجماهير، ومعالجة مشاكلهم، وتناول قضاياهم، وترجمة أحاسيسهم وآلامهم، بل -على العكس من ذلك- فإنها تعمل على تضليل هذه الجماهير وخداعهم لقبول الأمر الواقع.

وتأتي خطورة النفاق في وسائل الإعلام بسبب انتشارها الواسع، وتأثيرها الهائل على الغالبية العظمى من القاطنين على الأرض العربية والبقاع الإسلامية، نظرًا لأن هذه الوسائل أصبحت تملك الآن من قوة الجذب وعوامل الإغراء ما يمكّنها من غرس مفاهيم خاطئة وأفكار مشوهة في أذهان الناس، لا سيما إذا كان المناخ العام في المجتمعات العربية والإسلامية يهيئ لها أوسع الفرص لتحقيق أغراضها، وما أكثر المنافقين

الذين تولوا أمر هذه الأجهزة الحساسة والخطيرة، فقصفوا الأقلام المنافسة، وأخرسوا الأصوات المعارضة، وكتموا الأنفاس الحرة.

في حين أن الدعاة والإعلاميين المخلصين الذي أحبوا الله تعالى وأحبوا الرسول ﷺ، يعملون في صمت، ويبتعدون عن الأضواء، ولا يتكالبون على جمع المال، ويزهدون في السلطة، نجد صوتهم خفيضاً، وظهورهم قليلاً، وحياءهم كثيراً، والأمة الإسلامية لم تعدم وجود هذه العناصر الصالحة التي تعمل دون ضجيج وتعبد الله بحق، إنهم أهل العلم والفضل، وأهل التقوى والورع، ولكن المهم هو كيف تحصل هذه العناصر على فرصها للعمل والعطاء وبناء الإنسان؟

حادي عشر: الافتقار إلى النموذج القدوة في النشاط الإعلامي:

تكمن فاعلية القدوة في أنها تقوم على غريزة التقليد والمحاكاة، وهي من أقوى الغرائز البشرية التي تغني عن فصاحة اللسان وقوة البيان وفن القول، لأنها ترسخ المضمون أو الفكرة المستهدفة أو السلوك المطلوب في عقول الجماهير ونفوسهم، من خلال صياغة الرسالة الإعلامية صياغة عملية مدعومة بالأفعال وليس بالأقوال وحدها. وفي ذلك يقول تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ٤٤).

لقد كان سيد الدعاة صلوات الله وسلامه عليه نموذجًا متميزًا، وقد استلفت اهتمام الجميع بأقواله المطابقة لأفعاله، وفي هذا يقول المستشرق الإنجليزي الشهير (هاملتون جيب Hamilton Gibb): «إنه ليس من قبيل المبالغة أن قوة تأثير شخصية الرسول ﷺ على مواقف المسلمين، هي عبارة عن شعور تلقائي وطبيعي لا يمكن تحاشيه، سواء أكان ذلك في حياته أم بعد وفاته.. لقد كان ذلك أكثر من مجرد إعجاب.. ويكفي أن نذكر أن علاقة الحب والإعجاب التي غرسها الرسول في قلوب أصحابه قد انبعث أثرها ومداها عبر القرون، ويتم إثارتها في قلب كل جيل»(١).

وقد نهج أصحابه المخلصون رضوان الله عليهم نهجه، فكانوا قدوة حسنة نجم عنها توسيع نطاق المعتنقين للإسلام، فقام الإسلام على رقة أبي بكر، وحزم عمر، وبذل عثمان، وفدائية علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم.. لقد كان كل واحد من هؤلاء الأربعة أمة في مجال القدوة الحسنة التي اقتدى بها الصحابة، ويقتدي بها المؤمنون إلى يومنا هذا.

وهكذا نرى أن القدوة تعتبر واحدة من أهم وسائل الدعوة، وأن أخلاق الداعية يجب أن تأتي في مقدمة العوامل اللازمة لنجاح خطط الدعوة، فلابد أن يكون الداعية قدوة حسنة في العقيدة والعبادة والمعاملة، صادقًا في مشاعره، مستغفرًا لمن لا يستجيب له، متخلقًا

---

(1) Gibb, Hamilton: Studies on civilization of Islam, London, R. Poulk Routle Kegan Paul Limited, 1962, P.10.

بأخلاق الرسول ﷺ.. وأبرز الأمثلة على ذلك، أن انتشار الإسلام في الشرق الآسيوي بهذه القوة وبهذه الصورة، من جزر الفلبين شرقًا حتى الشاطئ الهندي غربًا، لم يتحقق إلا من خلال التجار ورجال الأعمال المسلمين الذين سبقت أفعالُهم أقوالَهم، وكانوا نماذج متميزة عكست أخلاقيات هذا الدين في الصدق والأمانة والتسامح والإيمان والصلاح.

ومن هنا يصبح على كل من يتصدى للعمل في حقل الإعلام الدعوي، أن يدرك أن عدم انسجام القول مع العمل ينذر بردود فعل عكسية، وبآثار سلبية[(١)].

ويصبح على دعاة الإسلام الالتزام الكامل بالمنهج الإسلامي، فكرًا وقولاً وسلوكًا.. هذا المنهج الذي يفرض على أصحابه الاحترام والأمانة والصدق والتجرد والموضوعية والفهم الدقيق للرسالة والوسيلة والجماهير، وأن يكونوا متخصصين في مادتهم بالعلم والتجربة، ذلك أنه مهما تكن عظمة الفكرة أو قدسيتها، فإن الدعاة والإعلاميين لهم الأهمية الكبرى في توصيلها والإقناع بها[(٢)].

ومن ثم فإن اختيار رجال الإعلام يجب ألا يتم قبل اجتيازهم عدة اختبارات عملية وعلمية، لأن مكونات شخصياتهم تنعكس على الفكرة

---

(١) محي الدين عبد الحليم: الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٤م، ص١٦٨.

(٢) محمد عبد القادر حاتم: الإعلام والدعاية.. نظريات وتجارب، مكتبة الأنجلو، ١٩٧٢م، ص١٠٢.

التي يدعون إليها، والجهة التي يمثلونها، حتى لا تؤدي جهودهم إلى خسارة معنوية ومادية كبيرة، ينتج عنها فقدان هذه الفكرة أو الرسالة فاعليتها، بعد أن يكون قد تم الإنفاق عليها كثيراً[1].

وبعبارة موجزة، فإن الإعلامي المسلم يجب أن يتسلح بصفات علمية وعملية وأخلاقية، تسبغ عليها المهابة والثقة من الجميع، وأن يكون قلبه مفعماً بالحب وتمني الهداية للجميع، وألا يسيء الظن بأحد، ولا يبني أحكامه على التوجس والشك في الآخرين بدون دليل، وأن يتجنب الإثارة والإهاجة، وأن يعالج قضاياه في هدوء واتزان وروية، وألا يدعو إلى القنوط، وأن تتوافر لديه القدرة على توصيل المعلومات وتفسير دلالاتها ومعرفة الآثار الناجمة عنها.

وهذه الفئة من الدعاة القادرين، يستطيعون أن يقيموا جسراً تنتقل عبره آمال الجماهير ورغباتهم ومشكلاتهم في مختلف شؤون الحياة إلى صناع القرار، وأن ينقلوا للشعب المنجزات والمشروعات المزمع تنفيذها، والتي تم تحقيقها بالفعل.

إن الدعاة ورجال الإعلام، يكسبون بسلوكهم أكثر مما يكسبون بالخطب والمواعظ، ذلك لأن الناس ينظرون إليهم باعتبارهم نماذج حية لما يدعون إليه، ويتأثرون بسلوكهم الفعلي أكثر مما يتأثرون بكلماتهم

(1) Brown Charles: Informing the People, Newyork, Pennsylvania State University, 1957, p2.

الحلوة وخطبهم العصماء وبرامجهم المثيرة ومقالاتهم الأخاذة، لهذا يجب أن يكونوا أمثلة عليا للاستقامة والصلاح والتقوى، وأن يتوافر لديهم القدرة على الصبر على الأذى، لأن الناس أعداء لما جهلوا، لا سيما أن العقائد أمر عسير على النفوس، صعب على القلوب. كما يجب أن يكونوا نماذج حية للتواضع، وخفض الجناح والتودد، والزهد في مطالب الدنيا، وأن يبتعدوا عن العنف والمشقة، امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

ثاني عشر: الحرية الإعلامية وحق الاتصال:

اعتبر الإسلامُ التفكيرَ سبيل الإيمان، وأعطى النظام الإسلامي للإنسان الحق الكامل في أن يفكر في جميع ما يكتنفه من أمور، وما يقع تحت بصره من ظواهر، وأن يأخذ بما يهديه إليه إدراكه، ويعبر عنه بمختلف الوسائل المشروعة، وأن يجهر بالحق الذي يعتقده، حتى لو كان مجانبًا للصواب -في نظر الآخرين- أو مخالفًا لرأي الأغلبية، وقد أثابه على ذلك بأجر إن أخطأ وبأجرين إن أصاب، وترك له حرية التصرف فيما يراه نافعًا له ولمجتمعه، وتبعًا لحسن استخدام عقله، ليدرك عظمة الخالق، ويتابع حركة الحياة في الدنيا، ويبتعد عن الجمود الذي يؤدي إلى ضعف نشاطه الفكري، ليتمكن من تغيير ما بنفسه حتى يساعده الله لما فيه خيره.

وقد سار رسول الله ﷺ على هذا النهج، والتزم به الخلفاء الراشدون من بعده، فكانت حرية الرأي في عهودهم مكفولة للجميع، ومحاطة بسياج من القدسية، فلا يتم الحجر على حرية أحد في التفكير أو التعبير[1].

ويدخل في حرية التفكير والتعبير: حرية الصحافة، والخطابة، والإذاعة بشقيها المرئي والمسموع، وحقه في الاتصال والمعرفة، والمشاركة في صياغة حاضره وصنع مستقبله، فهذه حقوق ثابتة في الشريعة الإسلامية، وقد أخذ رسول الله ﷺ على أصحابه العهد ألا يخافوا في الحق لومة لائم، وطالب المؤمنين جميعًا بالتحلي بالشجاعة والقوة، وأن يلتزموا بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وألا يكونوا إمَّعَات مع الباطل، حتى لو كان لهذا الباطل الغلبة والسلطان والسيطرة، وحتى لو أمسك بعصاً غليظة، لأن هذه العصا سوف تهتز في يد صاحبها لأنها يد الخائف المرتجف[2].

وفي ضوء هذه الحقيقة، نستطيع أن نؤكد أن هذه الأمة لا يمكن أن تقال من عثرتها، وتعود إلى سابق مجدها، في ظل أنظمة تمارس الإرهاب والقهر، وتحجر على الحريات، وتفرض قوانين ونظمًا تحول بين المبدعين من أبنائها وبين قدرتهم على النهوض بها، والأخذ بيدها، لأن ثمة علاقة

---

(١) محي الدين عبد الحليم، الرأي العام في الإسلام، القاهرة، دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٩٠م، ص٩٩.

(٢) علي عبد الواحد وافي: حقوق الإنسان في الإسلام، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٩م، ص٢٣٠.

عضوية لا تنفصم عراها بين الإبداع والحرية، فبقدر مساحة الحرية المتاحة للمبدعين، يكون العطاء الذي يمكن أن يقدمونه لأمتهم.

وهذا يعني أن أخطر أعداء التقدم والتفوق والازدهار هو سيطرة العناصر الجاهلة والعقليات الغاشمة على منابر الفكر وقنوات الاتصال، لأن هؤلاء لن يسمحوا للمبدعين بتقديم ما حوته عقولهم، وما اختزنته صدورهم من أعمال خلاقة وأنشطة بناءة، بل إن أول ما يشغل فكر هذه العناصر هو القضاء على هؤلاء المبدعين، حتى تخلو لهم الساحة، ويتمكنوا من السيطرة والتسلط، وصياغة النظم والقوانين التي تلبي رغباتهم، وإعداد اللوائح والدساتير التي تخدم أغراضهم وتحقق أهدافهم، ويدعون أنهم حماة الحرية، ولكنها الحرية التي تتفق مع أهوائهم وميولهم، وإذا اختلف معهم أحد أو تجرأ على معارضتهم يكشرون عن أنيابهم، ويشهرون أسلحتهم، لأن الرأي الآخر سوف يضع الأمور في نصابها الصحيح، ويصوغ العلاقات المتوازنة بين كل أفراد المجتمع، فيظهر الغث من السمين والهدى من الضلال.

وإلا فما هو تفسير ظهور المبدعين من العرب والمسلمين على الساحة الدولية في مجالات الفضاء والطب والفن، بعيداً عن أوطانهم؟ إنه مناخ الحرية الذي تتيحه لهم الأنظمة التي هربوا إليها، والحوافز المعنوية والأدبية والمادية التي تتدفق عليهم، والأمن والسلام الذي يتحقق لهم. كما أن فقدان المصداقية وغياب الحرية الإعلامية، أضعف من إمكانية التأثير في

الناشئة، فدور الرقابة والمنع الآن أصبح دوراً سلبيًا يأتي بنتائج عكسية، فأبناؤنا إذا منحناهم الحرية الكاملة لن يستطيعوا استخدامها لأنهم لن يحسنوا التعامل معها، وهذا ببساطة يرجع إلى أنهم لم يتعلموها أو يمارسوها ممارسة عملية، ففشل الناس في تربية أولادهم، وهكذا تلقفتهم أجهزة الإعلام الأجنبية، وأصبحوا يأخذون عنها القدوة والمثل.

الحقيقة أن الأمة الإسلامية قد تخلفت بسبب التسلط والقمع وسحق إرادة الجماهير، لأن الفرد لا يستطيع أن يبدع ويسهم في إثراء الحياة إلا إذا توافرت له مساحة كافية من الحرية والاستقرار والأمان. ولم يشهد التاريخ أن أمة تقدمت أو أضافت للتراث الإنساني شيئًا وهي تعيش في ظل أنظمة دكتاتورية واستبدادية أو شمولية، حتى لو توافرت لها الإمكانات المادية، والطاقات البشرية، ومصادر الثروة، وأسباب التقدم والرفاهية.

وقد أدركت الأنظمة التي تريد لشعبها الخير والتقدم هذه الحقيقة، فأطلقت العنان للفكر الخلّاق والرأي الحر، ليسهم في البذل والعطاء، ولنا أن نقارن كيف كانت أوضاع ألمانيا واليابان، ونمور آسيا السبعة قبل القفزات الاقتصادية التي حققتها؟ وكيف أصبحت أوضاع هذه الدول الآن؟ وكيف استطاع المواطن الألماني والياباني والآسيوي أن يبدع ويثري الحياة الفكرية في مجتمعه؟ إن ذلك يرجع إلى أن توفير هذا المناخ من

الحرية هو الذي يسهم في بناء الإنسان بناءً صحيحًا، ويهيئ له الظروف الملائمة للخلق والابتكار.

فبالحرية حقق المسلمون الأوائل قدرًا هائلاً من القوة والمنعة، وفي ظل هذا المناخ الصحي استطاعوا أن يجمعوا شتات الأمة، ويوحدوا بين أبنائها، وينشروا الأمان والسلام في أرجائها، لتخرج من أحشائها هذه الأدمغة الخلاقة، وتلك العبقريات المتميزة، التي ما يزال يغترف من علمها وفكرها علماء العالم ومفكروه في عصرنا الراهن.

وبالتالي فإن إعمال العقل والاجتهاد بالرأي، والاختلاف في وجهات النظر، مطلب لا يجوز أن يُعاقب عليه صاحبُه إذا ما التزم الأصول والثوابت، ومن حق كل فرد أن يقدم حججه وبراهينه، وأن يقول رأيه بصراحة، ويبدي وجهة نظره دون خوف، وليس في الإسلام قيد على الحرية، ولا كبت للرأي، ولا إجبار على السكوت، ولكل مسلم أن يتحدث بما يشاء، سواء أخذ برأيه أو لم يؤخذ به، وسواء كان رأيه خطأً أم صوابًا.

وهذه الحرية هي التي جعلت بعض المسلمين يجاهرون بالرأي لرسول الله ﷺ، بالرغم من إجلالهم له إجلالاً لا يقف عند حد، لأن هذا الدين لم يمنع الآخرين من تبني ما يعتقدون من آراء وأفكار ما دامت لا تخرج عن حيز الشرع، ويكفي أن ندرك أن الحق تبارك وتعالى قد حذّر رسوله

وحذّر المسلمين من قهر إرادة الآخرين، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ (الغاشية: ٢٢).

وفي هذا تقرر الدعوة الإسلامية ابتداءً أنه لا إكراه في الدين، وتؤكد على مبدأ حرية العقيدة، لأن الإسلام يريد أن يتم اعتناقه عن إيمان واقتناع، لا عن إكراه أو تقليد، ولذلك فهو لا يجبر أحداً على الدخول فيه، لأن طبيعة الإيمان تتناقض مع طبيعة الإكراه، فلا إيمان مع الإكراه، وغاية الإسلام أن يختار الإنسان مصيره ويتحمل مسؤولياته، لذلك يبين الله أن الإسلام يرغب فيمن يريد اعتناقه أن يتم ذلك عن صدق ويقين، لا عن تضليل وتغرير، وأن يتسم هذا الاختيار بحرية مطلقة، وقد صرّح القرآن الكريم بذلك في العهد المكي، قبل وقوع الصدام المسلح مع المشركين، وفي ذلك يقول جل وعلا: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٩٩).

وقد التزم رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام، بمبدأ حرية الاعتقاد كأساس تقوم عليه الدعوة الإسلامية وليس لمجرد التسامح والمسالمة، في الوقت الذي حذّر فيه من مغبة إرغام الناس على دخول الإسلام قسراً، وفرضه عليهم فرضًا، وهو ما يأباه هذا الدين نصًا وروحًا، حيث إن الإيمان لا يصدق إلا إذا نبع من القلب والضمير، فلا خير في كلمة ينطق بها

اللسان، ويكفر بها القلب، فذلك هو النفاق الذي يعده الإسلام شراً من الكفر الصريح.

وهذا يدحض الادعاء بأن السيف كان الأداة الرئيسة لنشر الدعوة، لأن الدعوة تقوم على الإقناع وليس على القمع، وتعتمد على الكلمة الطيبة والأسلوب الرقيق، وتستبعد العنف.. والإسلام ليس بحاجة إلى هؤلاء الذين يدخلون دون رضًا وقناعة. وقد كان هذا اللون من ألوان الرحمة والإنسانية، الذي طبقه القادة المسلمون في تعاملهم مع أعدائهم، مثالاً واضحًا للدعاة المجاهدين بالكلمة الطيبة المؤثرة، التي استطاعت التأثير ودفعت غير المسلمين للإقبال على الإسلام بعد.

وهكذا نرى سماحة الإسلام ورحمته تمتد لتشمل بني البشر جميعهم، وهي الطريق الذي قرره القرآن الكريم حتى يشعر الجميع أنهم في ظل الإسلام في أمان، لا خوف عليهم ولا افتئات على حقوقهم.

ثالث عشر: إشكالية اللغة العربية في وسائل الإعلام:

تعتبر اللغة أهم أدوات التعبير والتفاهم بين الناس، وهي نتاج لثقافة الأمة، وتشتمل على الكلمات والتعبيرات التي تسمِّي الأشياء، وتصف الأفكار والعلاقات والقيم، وقد اختص الله الإنسان دون سائر الفصائل الحيوانية الأخرى بالقدرة على التعبير اللغوي، لأنه يتميز عن الكائنات الأخرى بطائفة من المراكز المخية، كمركز إصدار الألفاظ، ومركز حفظ الكلمات المسموعة.

وتأتي اللغة في مقدمة عوامل الحفاظ على الهوية، لأنها السبيل لفهم الأشياء، والطريق لربط أفراد الأمة بعضهم ببعض.

ونظراً لأن اللغة العربية ملازمة لدين الله الخاتم، خصها الحق جل وعلا بحمل معاني كتابه الكريم، كما أن الثقافة الإسلامية في صميمها ثقافة عربية اللسان، صيغت بلسان من استقبلوا دعوتها، وحكموا بشريعتها، فإن الحملات والمؤامرات التي تشنها الأجهزة والمؤسسات المعادية لإفراغها من محتواها لا يهدأ لها بال، مستهدفة من وراء ذلك فك التلازم القائم بين اللغة العربية والدين الإسلامي.

ومن الغريب أن بعض المثقفين العرب يجنح إلى التقليد، مفتوناً بما شاهده في الغرب من بريق حضاري، مما ساعد على شيوع الألفاظ والعبارات الأجنبية التي أسهمت في هدم وتحريف الكثير من الكلمات العربية.

ثم رأينا هؤلاء يوجهون سهامهم إلى اللغة العربية التي نزل بها الكتاب العظيم ويطالبون بتعميم بعض لغات العالم لتكون هي اللغة الأم، بدعوى أنها لغة العلم التي تحمل معارف وثقافات لا تستطيع لغة العرب التعبير عنها، وصياغة معانيها ومفرداتها. ومنهم من يتهم العربية بالعجز، وعدم القدرة على الاستجابة للمستجدات العصرية في مختلف العلوم والفنون، ويدعي هؤلاء أن التخلف الذي أصاب المجتمع الإسلامي إنما يرجع إلى قصور اللغة العربية، وعدم قدرتها على نقل ما جادت به

القرائح والعقول عند الأمم الغربية المتحضرة، وبناء على ذلك فهم يطالبون أهل العربية أن يتركوا هذه اللغة، ويبحثوا لهم عن لغة أخرى حتى يلحقوا بركب الحضارة، ويتفهموا المتغيرات الجديدة التي فرضت نفسها على إنسان اليوم، ويتعايشوا مع التطور السريع الذي يسود العالم المتقدم.

وهي نفسها مقولة الاستعمار القديم والحديث، الذي ظل يسعى بكامل طاقته إلى إضعاف هذه العربية، ليسهم في انصراف المسلمين عنها، حتى تنقطع الصلة بينهم وبين جذورهم وتراثهم، مستهدفين من وراء ذلك النيل من القرآن الكريم ذاته.

فهل أصبحت لغة العرب -التي علّمت العالم بالأمس- عاجزة عن مسايرة التقدم الذي يسود العالم اليوم؟ هذه اللغة التي يشهد لها الخبراء والمفكرون بأنها تمتاز عن سائر اللغات بالقدرة على إيصال المعاني بأقصر الطرق، كما تتميز بالسعة والمرونة والوضوح والدقة في قواعد النحو والصرف، يقول الحق جل وعلا: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ (يوسف:٢).. ويقول سبحانه: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴾ (فصلت:٣).

ولقد أدى الابتذال واستخدام بعض الألفاظ والكلمات الهابطة، التي تتردد على ألسنة الممثلين والضيوف ومقدمي البرامج في وسائل الإعلام، وعدم الحفاظ على الحد الأدنى من الأصول والقواعد اللغوية، إلى تحجيم

اللغة العربية، والاستخفاف بقواعدها وإهمالها، والترويج للسوقية، وشيوع الكلمات والمصطلحات غير اللائقة(١).

وانتشرت الدعاوى التي تطالب باستعمال العامية بدلاً من الفصحى، بحجة أن الفصحى لا تلبي احتياجات الجماهير العريضة من المواطنين، وقد أسفر هذا الوضع عن اللامبالاة بقواعد اللغة، وعدم الاهتمام بأصولها، كما أدى إلى وقوع الخطأ في مفرداتها بصورة واضحة في البرامج والفقرات والمقالات وغير ذلك من المواد الإعلامية، مما أصبح ينذر بخطر محدق، يتمثل في إهدار اللغة الأم.

وتشير الإحصاءات والدراسات العلمية في هذا الصدد، إلى أن وسائل الإعلام أسهمت إسهامًا كبيراً في إيذاء العربية، فإذا استعرضنا برامج وفقرات الإذاعة والتلفزيون في معظم البلاد العربية، لوجدنا أن نسبة ما تبثه بالعامية -وبلهجة رجل الشارع- تزيد كثيراً على ما يقابله بالفصحى، ولا سيما في مجال الأعمال الدرامية والمنوعات، التي يندر فيها استعمال الفصيح من اللغة.

ومن ثم فإن هذه الوسائل تتحمل مسؤولية محورية في الحفاظ على اللغة العربية، وتقويم اللسان العربي ورعايته، وتصحيح الأخطاء، وحماية الجماهير من الانحراف بها، لأنه إذا ظلت أجهزة الإعلام تهمل الأداء الصحيح للغة العربية فسيبلغ الانهيار مداه.

---

(١) عبد العزيز شرف: اللغة الإعلامية، القاهرة، المركز الثقافي الجامعي، ١٩٨٠م، ص١٤٠.

ولتلافي هذا الزلل، وتطلعًا لتحقيق الأمل في الارتقاء بالمستوى اللغوي للجماهير، يصبح على أجهزة الإعلام أن تأخذ على عاتقها ما يلي:

١ - حسن اختيار اللفظ والعبارة، ومراعاة الكلمة الصحيحة التي تستطيع الجماهير استيعابها وفهم مقاصدها، والابتعاد عن الألفاظ المبتذلة الغريبة، وعن الإسفاف في اختيار الكلمات الهابطة لعرض المعاني، وعدم التكلف في صياغة النصوص الإعلامية، ومراعاة مستوى أفهام الجماهير حتى يقبلوا على العربية الصحيحة، ولا ينفروا منها.

٢ - الالتزام بقواعد وحدود اللغة، حتى تأتي النصوص الإعلامية المختلفة معدة على وجه معقول، ومنظومة بصورة تخلو من التنافر والشذوذ، وهذا يفرض على الإعلاميين التمكن من قواعد اللغة، والسيطرة على معانيها، والقدرة على نظم الكلام، ومراعاة الغرض المقصود منه، وهو ما يُشار إليه بوجوب مطابقة الكلام لمقتضى الحال[١].

٣ - الاهتمام بفن الإلقاء، والقدرة على النطق السليم للغة العربية، والتعامل الصحيح مع ألفاظها وحروفها بطريقة صحيحة، بهدف ترسيخ هذه العادة لا سيما لدى الأطفال الذين يكتسبون عادات النطق والحديث وفن القول لأول مرة، لأنه سيكون من الصعب اقتلاع ما تعلموه سابقًا، وما اعتادوا عليه سلفًا، سواءً أكان ذلك خطأً أم صوابًا.

(١) كمال بشر: الأداء اللغوي، مجلة الفن الإذاعي، القاهرة، العدد ٤٠، يوليو ١٩٦٧م، ص٨.

٤ - الوضوح والبساطة، وتناول مختلف القضايا بأسلوب عربي مبين يمكن المستويات الجماهيرية المختلفة من الفهم والاستيعاب ومتابعة ما يُنشر وما يُبث دون صعوبة.

٥ - تضييق المسافة بين لغة الخطاب ولغة الكتاب، وإتاحة مختلف السبل أمام الفصحى لتتسرب في كل مكان، وليكون لها السلطان في التعبير الإعلامي(١).

لقد أصبح من الأهمية بمكان تلافي السلبيات، التي تؤدي إلى انتشار الأخطاء اللغوية في وسائل الإعلام العربية، التي أصبحت بمثابة المدرسة التي يتعلم منها كل الناطقين بالضاد في مشارق الأرض ومغاربها، ولن يتم ذلك إلا بوضع خطة جادة تستهدف تصحيح اللسان العربي في وسائل الإعلام المختلفة.

رابع عشر: إشكالية غياب التخطيط العلمي في النشاط الدعوي والإعلامي:

تميز النصف الثاني من القرن العشرين بالأخذ بالتخطيط الوقائي في عدد كبير من المؤسسات الإعلامية، التي أصبحت تستعين به في أنشطتها المختلفة.

أما التخطيط العلاجي الذي يتصف بالسرعة والحزم، فإنه يختلف باختلاف طبيعة عمل المؤسسة، وأنواع الأخطار التي يحتمل حدوثها في

(١) عبد العزيز شرف: وسائل الإعلام ومستقبل اللغة العربية في عصر القمر والاتصال العربي، ١١.

أي وقت. وهذا يتطلب إعداد خطط علمية محددة لمواجهة الأزمات عندما تحدث. وإذا تطلب الأمر إضافة بعض اللمسات الإضافية تبعًا للموقف الذي يحدث، فسوف يصبح من اليسير وضع هذه اللمسات، وتنفيذ الخطة بسرعة ودقة، دون أن تتعرض المؤسسة الإعلامية للارتباك، أو إخفاء الحقائق عن الجمهور، وانتشار الشائعات، وتضخيم الأمور، والإساءة إلى سمعة المؤسسة(١).

وإذا استعرضنا التاريخ المعاصر، وقمنا بتحليل موضوعي للهزائم والنكسات التي أصابت أمة العرب والمسلمين، سوف يتأكد لنا أن غياب التخطيط العلمي كان وراء كل المصائب التي حاقت بها، وتسببت في تخريب البلاد وإفساد العباد.

ومن ثم فإنه إذا تم وضع خطة علمية سليمة، وإعداد حملات إعلامية متكاملة الأبعاد ومتناسقة التخطيط، تخاطب عقل الإنسان، فإن استراتيجية الدعوة والإعلام ستتمكن من تشكيل رأي عام عالمي مناصر للإسلام، ومؤيد له، كما ستتمكن من تحييد العناصر التي تناصبه العداء.

وهذه العملية في حاجة إلى إعادة نظر في كل ما يُكتب أو يُذاع عن الإسلام والمسلمين، وإعداد الردود المناسبة، وتوضيح الحقائق أو تصحيحها أو تعديلها، وهذا يتطلب ترجمة الإصدارات المتميزة من المطبوعات الدولية والبرامج والفقرات التي تتناول الإسلام بصورة

---

(١) علي عجوة: الأسس العلمية للعلاقات العامة، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٥م، ص١٢٥، ١٢٦.

موضوعية وأمينة، وإعداد الأعمال الجيدة لتكون جاهزة لكل الناس في كل مكان بمختلف اللغات، لأن كثيراً من الناس لا يعرفون عن الإسلام سوى اسم محمد ﷺ، ولا يعرفون عن القرآن شيئًا، ولا عن النظام الإسلامي سوى معلومات محدودة أو مشوهة أو غير صحيحة.

ولتحقيق هذه الأهداف لابد من التوسع في إقامة أجهزة دولية قوية للإعلام والدعوة الإسلامية، تأخذ على عاتقها وضع الخطط، وإعداد البرامج، وتهيئة المناخ الصحي لتنفيذها ومتابعتها في مختلف المراحل، لجذب اهتمام الجمهور، وكسب تأييده، والحصول على تعاطف الرأي العام، وإنشاء جسور من الثقة والتعاون المتبادل مع مختلف المؤسسات والقوى الضاغطة في مختلف المجتمعات، وبين مختلف الأمم والشعوب، لا سيما أن كافة الظروف الدولية مهيأة الآن لتمكين هذه الأجهزة، وإعطائها الفرصة لممارسة دورها بنجاح وفاعلية.

وفي الحقيقة أنه إذا توافرت الرغبة الأكيدة، والنوايا الصادقة، والاستعداد الفعلي لتصحيح الصورة، وبسط وجهة النظر الإسلامية من القضايا المعاصرة، فإن أجهزة الدعوة والإعلام في الدول الإسلامية يمكن أن تنطلق لتوظيف الإمكانات المتاحة، من خلال نظام دقيق لعرض ما لديها بلباقة وذكاء، لقرع الآذان، وتفتيح الأعين، لعرض الصورة الصادقة والأمينة لرسالة محمد ﷺ.

إن العبء ثقيل على أجهزة الدعوة والإعلام التي يجب أن تعمل في الليل والنهار لمحو هذا الجهل الغالب، وهذا يتطلب إعداد برامج طويلة

وأخرى قصيرة المدى، لأن صوت الإسلام في ميدان الإعلام يجب أن يكون جهيراً، حتى لا تعاني وسائل الإعلام في العالم الإسلامي من التبعية الفكرية، شأنها في ذلك شأن العديد من دول العالم الثالث.

وبناءً على ما تقدم نستطيع أن نقرر أن فهم المجتمع الدولي للقضايا الإسلامية يتوقف على وضع خطة إعلامية صحيحة، واختيار الوسائل والأدوات والطرق الفعالة والمناسبة، مع مراعاة طبيعة الجماهير التي يتوجه إليها الإسلام بدعوته، والظروف الثقافية والاجتماعية والاقتصادية السائدة في مختلف المجتمعات المراد إقناع الجماهير فيها بالحقائق الماثلة والأفكار الصحيحة والقضايا العادلة، وذلك من خلال استراتيجية علمية يتم فيها إعداد الحملات الإعلامية المخططة، وتأهيل الكوادر البشرية المدربة، وتوفير الإمكانات المادية الكافية والقادرة على تشكيل رأي عام عالمي مناصر لدين الله ومؤيد له، ومتفهم لمعانيه وأبعاده، وذلك على النحو التالي:

المرحلة الأولى: وتبدأ بدراسة استكشافية لمعرفة طبيعة المجتمع الذي تتوجه إليه، ونوعيات الجماهير المستهدفة، ومستوياتهم الفكرية، وحالاتهم الاقتصادية، وأوضاعهم الاجتماعية، وآمالهم وآلامهم، وطبيعة النظام الذي يحكم حياتهم، ونوعية المعارف السائدة بينهم، وذلك من خلال منهج علمي سليم، وأدوات بحثية ملائمة، وطاقات بشرية متمكنة.

المرحلة الثانية: يتم فيها وضع الخطة موضع التطبيق العملي، آخذين في الاعتبار كافة المتغيرات التي تكفل الوصول للجماهير وتزويدها بالحقائق،

ومتابعة كل جديد يطرأ على أوضاعها، وتوظيف الوسيلة الإعلامية التي تصلح لكل واحدة من الشرائح الجماهيرية المستهدفة، لتحقيق الغرض المطلوب.

المرحلة الثالثة: ويتم فيها تقييم ما تم إنجازه من أهداف الخطة، وما أسفرت عنه مرحلة التنفيذ من نتائج، ووضع النقاط على الحروف لدعم الإيجابيات وتلافي السلبيات، وتقديم المقترحات التي تعالج مختلف جوانب الخلل، ودفع عجلة العمل، وتحقيق استمرارية النشاط الفعال والأداء المثمر.

خامس عشر: إشكالية البحث العلمي في مجال الإعلام والدعوة:

تحتل البحوث الإعلامية أهمية كبيرة في مختلف مناحي الحياة المعاصرة، وأصبحت هذه البحوث بمثابة المصابيح التي تهتدي بها الهيئات والمؤسسات المختلفة في إعداد الخطط والبرامج، وسن القوانين واللوائح، واتخاذ القرارات، حتى لا تعمل هذه المؤسسات في فراغ، أو ضد اتجاهات الناس ومصالحهم.

وإذا كانت البحوث الإعلامية قد أحرزت تقدمًا ملحوظًا خلال هذا القرن، كانعكاس للتطور الذي شهدته العلوم الاجتماعية والنفسية، فإن ممارسة البحث كإحدى الوظائف الأساسية في أجهزة الإعلام العربية والإسلامية، لا تزال تعاني من عدم الاهتمام واللامبالاة، وقد يكون ذلك بسبب نقص الكوادر البحثية، وضعف الإمكانات الفنية، أو ضآلة في

الميزانية المخصصة لذلك، ومن ثم فإن المشكلة ليست مشكلة معرفة، لأن الأساليب العلمية للبحث أصبحت معروفة، وأصبح في الإمكان تطبيقها متى توافرت الرغبة لذلك والإمكانات التي تساعد على تحقيق الغايات المستهدفة[1].

وتحتل بحوث الرأي العام -بصفة خاصة- أهمية كبيرة بين البحوث الإعلامية، لأنه بدون دراسة علمية دقيقة لاتجاهات الجمهور، ومعرفة قضاياه ومشكلاته وطموحاته، فإن المصالح والهيئات المختلفة ستعمل على غير أساس، ولن تجد من يسمع لها أو يهتم بها، إضافة إلى أن نتائجها سوف تكون غير مضمونة، وقد تكون مضللة[2].

والخطط الإعلامية، لكي يتحقق لها النجاح المنشود، فإنها لابد أن تعتمد البحث العلمي منهاجاً لها في ذلك بالخطوات التالية[3]:

١ - الدراسة العلمية لاتجاهات الجماهير، لاستكناه تفسيراتهم للأحداث والوقائع الاجتماعية، والمناشط السياسية والاقتصادية.

٢ - رسم البرامج الإعلامية المناسبة في ضوء ما تسفر عنه هذه الدراسة، حتى يمكن إقناع الجمهور المراد الوصول إليه.

٣ - اختيار أنسب الوسائل لتحقيق الأهداف الجزئية، فقد تفيد الإذاعة في تحقيق هدف ما، بينما يخفق التلفزيون أو السينما في تحقيق

---

(١) علي عجوة: الأسس العلمية للعلاقات العامة، عالم الكتب، ط٣، ص٦٣-٦٤.

(٢) محي الدين عبد الحليم: الاتصال بالجماهير والرأي العام، الأصول والفنون، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٣م، ص٥٥.

(٣) أحمد الخشاب: المرجع السابق، ص٨٥.

هذا الهدف . . .إلخ.

وإذا كان الإسلام قد فرض التطور على أهله فرضًا، بالحض على الدراسة والبحث، فإن كافة الأنشطة الدعوية والإعلامية لابد أن تقوم على أسس علمية تستهدف النهوض بالمجتمع المسلم والأخذ بيد الإنسان المسلم، لأن الشخصية الإنسانية لا يقوِّمها ولا يُرقِّيها شيء غير الإيمان والعلم، وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ (المجادلة: ١١).

وإذا ما استعرضنا الإطار العلمي الخاص بالنشاط الدعوي والإعلامي، فإننا سوف نواجه بعدد من الصعوبات، من أبرزها: عدم الاتفاق على المصطلحات والمفاهيم الدعوية والإعلامية المطروحة على الساحة العلمية، والتركيز على البحوث النظرية، في الوقت الذي تقل فيه نسبة البحوث التطبيقية والميدانية، إضافة إلى نقص الدراسات والبحوث التي تحقق المطابقة بين المصطلحات والمفاهيم الحديثة، ومصادرها في القرآن الكريم والحديث الشريف، وعدم كفاية المناهج الحالية، في دراسة الإعلام الدعوي.

وفي الحقيقة أنه على الرغم من تعدد المناهج وأدوات البحث العلمي المستخدمة في العلوم الاجتماعية والإنسانية، إلا أن قابليتها للتطبيق في حقل الإعلام الدعوي يتطلب فهمًا لصلاحيتها، وهذا ما يدعو إلى ضرورة تضافر الجهود لتكييف المناهج الحالية، أو استحداث مناهج وأدوات بحثية تتفق وخصائص هذا الفرع من فروع المعرفة الإنسانية(١).

---

(١) محمد عبد الحميد: البحث العلمي في مجال الإعلام الإسلامي.. إشكالياته ودوره الوظيفي، القاهرة، مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، ١٩٩٢م، ص٨٦.

سادس عشر: إشكالية الإعلام بقضايا الغيب:

يشهد التاريخ البشري أن قضايا الغيب التي تناولتها الرسالات السماوية جاءت في مقدمة المسائل المطروحة للجدل والنقاش، منذ أن بعث الله الرسل والأنبياء، وستظل هذه القضايا تشكل ركنًا أساسيًا وعلامة استفهام بارزة في التفكير الإنساني.

وتؤكد الحقائق الكونية التي تحيط بنا، أننا عاجزون عن تفسير كثير من ظواهر الطبيعة، عاجزون عن إدراك كل حقائق الحياة التي تحيط بنا، عاجزون أمام القدرة الخارقة التي أوجدت هذا الغيب[(١)].

ذلك أنه إذا كانت المساحة المعلومة التي يتحرك فيها الإنسان محدودة وضيقة، فإن هذا الإنسان يتحرك في مساحة واسعة من عالم الغيب والمجهول، هذا العالم الذي يطرح نفسه دائمًا منذ الخليقة الأولى في صورة تساؤلات وعلامات استفهام عديدة، قد تؤدي إلى الشك والاضطراب، بل قد تدفعه أحيانًا إلى الكفر والإلحاد.

ونظرًا لأن قضايا الغيب تتناول أمورًا غير ملموسة، لا تتعامل معها الحواس البشرية بصورة مباشرة، مثل الظواهر المادية التي تراها العين وتسمعها الأذن، فأنَّى لشخص لم يؤت من الإيمان الصحيح والعقل السليم ما يرتفع به فوق مستوى هذه المحسوسات، ويرتقي به إلى آفاق عليا من الفهم والإدراك.

---

(١) محمد عبد الحميد غراب: الإسلام والعلم، القاهرة، المركز الإسلامي للدراسات والبحوث، ١٩٨١م، ص٦.

وإذا كان بعض الناس يطرحها رغبة في المعرفة، والتثبت من الحقيقة، لكي يطمئن قلبه، ويُقبل على الإسلام وهو واثق من سلامة خطاه وصحة إيمانه، كما في حالة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ (البقرة: ٢٦٠)، إلا أن هناك من يطرحها بدافع التشكيك في صحة العقيدة والطعن في الدين، واتهام الأنبياء والرسل بالكذب والتضليل، والافتئات على منطق العقل.

وهذه الفئة الرافضة لا تنفع معها حجة، ولا يقنعها دليل، وليس من الحكمة إهدار الوقت معها، فهؤلاء هم الذين قال الحق فيهم: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (يس: ١٠). كما قال تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الزخرف: ٤٠).

ويتعرض الدعاة والإعلاميون المسلمون دومًا لحملات تستهدف واحدة من ثلاث:

١ - إما الطعن في صحة العقيدة، بهدف رفضها شكلاً ومضمونًا.

٢ - أو التشكيك فيها أو في بعض جوانبها.

٣ - أو محاولة الفهم والإدراك، بهدف المعرفة وتصحيح الفكر الخاطئ.

ومنابر الدعوة وأجهزة الإعلام، هي الروافد الفكرية المؤهلة للرد على

التساؤلات التي تُثار حول هذا العالم المجهول الذي يحيط بنا، لا سيما أن هذه الأجهزة تستطيع تحقيق التوازن بين الجانب الروحي والجانب المادي في حياة الإنسان، كما تستطيع مواجهة اتهامات المعاندين، ودحض حجج المرجفين، والرد على تساؤلات المتشككين، ومن ثم فإن الدعاة ورجال الإعلام يجب أن يتزودوا بذخيرة قرآنية قوية، تحسن توظيف العقل والبرهان، وتجادل بالتي هي أحسن، للإقناع بالحقيقة الخالدة التي أكدتها آيات الكتاب الكريم.

وعلى العكس من ذلك، فإنه إذا لم يجد المرء من مصادر المعرفة وقنوات الاتصال التي يتعرض لها دوماً، إجابات شافية عن التساؤلات التي تكتنف حياته، فإنه سيصاب بحالة من البلبلة والإحباط، قد يفقد على أثرها إيمانه بالله، ثم يفقد توازنه وثقته في كل ما يحيط به، فيحيا حياة بهيمية خالية من الراحة النفسية والسمو الروحاني والاقتناع العقلي.

ويقدم القرآن الكريم الدليل العقلي والحكمة الخالدة لمواجهة الأباطيل التي يثيرها المتشككون. ولو تعمّق رجال الإعلام الدعوي في آيات القرآن الكريم، التي تناولت قضايا الغيب، ونهجوا منهج الحق في هذا الصدد، لاستطاعوا أن يفحموا كل من يحاول الطعن في حقائق الغيب التي حملتها آيات القرآن الكريم، ولديهم الأدلة والبراهين التي تدمغ هؤلاء المتشككين.

الفصل الخامس
المنهج المميز للإعلام الدعوي

يقوم الإعلام الدعوي على أصول راسخة وقواعد ثابتة، لأنه يستقي منهجه من القرآن الكريم، ومن سنة النبي ﷺ في الإعلام والتأثير.

وبفضل هذا المنهج استطاعت رسالة الإسلام الانتشار على مساحة واسعة من كوكب الأرض، وتمكنت من التأثير في الجماهير التي تقطن فوق هذه الأجزاء من العالم شرقًا وغربًا، وبسطت نفوذها في العديد من الأماكن، وبين مختلف الفئات والطوائف التي اعتنقت الإسلام بعد احتكاكهم بأهله، ومعرفتهم بأصوله، كما هو الحال في منطقة شرقي آسيا (إندونيسيا وباكستان وبنجلاديش والهند وماليزيا والفلبين)، وغيرها من البلاد التي لم تحتلها جيوش، ولم يدخلها جنود، أو يشهر فيها سلاح أو تراق فيها نقطة دم واحدة، وهذا يدل دلالة واضحة على القوة الذاتية الكامنة في هذا الدين الذي يستهوي كل من يقترب منه ويفهمه فهمًا صحيحًا، ويفتح قلبه وعقله للتعرف على مبادئه وفهم جوهره.

وإذا كانت الدعوة الإسلامية تبعث في رجالها الثقة بالنفس والقدرة على المواجهة، فإنها تهيئ لهم المناخ الصحي الذي يمكنهم من تحقيق النجاح إذا التزموا بالمنهج الذي سار عليه إمام الدعاة ﷺ في البلاغ والإقناع، وتزودوا بالمعطيات العلمية المعاصرة.

ويقوم هذا المنهج على الأساليب والآليات التالية:

أولاً: البساطة والوضوح، في الشكل والمضمون:

يقوم الإسلام على شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.. وهذه العقيدة السهلة، كما يقول المستشرق الإنجليزي توماس أرنولد[1]، لا تتطلب خبرة طويلة أو تجربة عميقة، ولا تثير أية مصاعب عقلية للفهم والاستيعاب، بل إنها تخاطب أدنى المستويات العقلية والإدراكية في الإنسان، نظراً لخلوها من التداخلات والحيل النظرية أو اللاهوتية، ومن ثم فإن أي فرد يستطيع أن يستوعبها، ويشرحها، حتى أقل الناس خبرة بالأصول العقدية لهذا الدين.. وفي الحقيقة أن بساطة تعاليم الإسلام ووضوحها تعد من أبرز العوامل الفعالة في نشر الرسالة، في مختلف المجالات وبين مختلف الأوساط[2].

وقد تميزت دعوة رسول الإسلام ﷺ ببساطةٍ في اللفظ، ووضوحٍ في المعنى، ويُسْرٍ في الدين، ولهذا لم يعهد التاريخ مصلحًا أيقظ النفوس، وأحيا الأخلاق، ورفع شأن الفضيلة في زمن قياسي، كما فعل محمد ابن عبد الله ﷺ، لأن فهم الدعوة الإسلامية لا يحتاج إلى مقدرة عقلية خاصة، وملكات ذهنية كبيرة، ويرجع ذلك إلى طبيعة هذا الدين الذي

(١) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧١م، ص٢٥٤.

(٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي، ج١، ط٤، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٣م، ص٢١٦.

يخاطب فطرة الإنسان، ويتعامل مع ظروفه، ويلبي رغباته، ويعالج قضاياه، ويرد على تساؤلاته، ويربط -في تناسق وانسجام- بين ما يتضمنه من حقائق وبين واقع الحياة، فمشكلات الناس وقضاياهم، يجدها الإنسان معروضة بصورة مبسطة، سهلة الفهم والاستيعاب، في القرآن الكريم، وفي سنة الرسول ﷺ.. وقد كان هذا هو النهج مع سائر الرسل، فكان الحق تبارك وتعالى يبعث في كل أمة رسولاً منهم ليكون أقدر على فهمهم وإفهامهم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ (إبراهيم: ٤).

وقد أراد الله عز وجل أن ييسر للناس فهم وإدراك الرسالة، حتى يتمكنوا من استيعابها والعمل وفق معطياتها: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ (البقرة: ١٨٥).

وبهذا المنهج المتميز استطاعت الدعوة الإسلامية أن تجذب انتباه الجماهير وتصل إلى عقولهم ووجدانهم دون صعوبة، وتلبي رغبتهم في الوقوف على تبريرات مفهومة وبسيطة ونهائية للقضايا والمسائل العامة التي تُثار في المجتمع، وهذا يفسر الأسباب التي تجعل الناس مستعدين لتقبل التفسير الذي يقدم إليهم، لا سيما عندما يأتي هذا التفسير من مصدر موثوق به(١).

(١) محي الدين عبد الحليم: الرأي العام في الإسلام، ط٢، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٠م، ص٢٠٢.

ثانيًا: الثراء والتنوع والتطور:

تتميز الدعوة الإسلامية بالثراء في مادتها، والتنوع في أساليبها، والتطور في معالجاتها، ويأتي ثراء هذه الدعوة من النظرة الشمولية للدين الإسلامي، الذي جاء جامعًا لحياة المسلمين في شتى المجالات، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة في حياتهم إلا وتطرق إليها، ابتداءً من وضع أصول الحياة الأسرية، إلى إعداد الجيوش ومقاومة الأعداء، وتنظيم اقتصاديات المسلمين، ويأتي ذلك مصداقًا لقول الحق جل وعلا: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل: ٨٩).

ومن ثم فإن الإعلام الدعوي لن يقف حائرًا أمام أيٍّ مشكلة من مشكلات الحياة، في أي زمان وأي مكان، لأنه سوف يجد في دستور المسلمين الحلول العادلة لكافة المشكلات والقضايا.

كما تتميز الدعوة الإسلامية بالتنوع في الأساليب، والتعدد في الطرق، مع ثبات الأهداف، فالدعوة قد تحتاج إلى أسلوب القوة كما تحتاج إلى أسلوب اللين، وقد تحتاج إلى أسلوب المواجهة للخطأ، أو أسلوب التعميم وعدم المواجهة، وقد كان رسول الله ﷺ يقول أحيانًا عند الإنكار: «**ما بال أقوام يقولون كذا، أو يفعلون كذا**»[1].

وكان يواجه أحيانًا صاحب الخطأ فيقول له: «**ما بال مقالة بلغتني عنكم؟**»[2].

---

(١) صحيح البخاري، رقم: ٦١٠١ و ٦١٠٢.

(٢) صحيح البخاري، رقم: ١٩٧٥ و٥٠٦٣.

وهنا يأتي دور الداعية الحصيف في قدرته على استخدام الأسلوب المناسب في الموقف المناسب والوقت المناسب، لأن دائرة الاختيار بين مختلف الأساليب واسعة ومتنوعة ومتعددة.

والدعوة الإسلامية تختلف في وسائلها وأساليبها من وقت إلى آخر، ومن حال إلى حال، بحسب المقتضيات والأزمان، فقد يصلح أسلوب دعوي مع شخص أو جماعة أو شريحة عمرية معينة، ولا يصلح في غير ذلك من المجالات، وهنا يجب على الداعية أن يغير من أساليبه بما يتناسب مع حال المتلقين، فقد يتطور الأسلوب الواحد من ترغيب إلى ترهيب، وقد يتطور الموقف مع العدو من أسلوب المهادنة والصلح إلى أسلوب المواجهة والقتال أو العكس، لأن الأصل أن الأساليب الدعوية اجتهادية ومتطورة، يمكن للدعاة أن يطوروا فيها بحسب مقتضيات عصرهم[1].

ثالثًا: دعوة عقلية تقوم على المنطق السليم وتستند إلى البرهان القوي:

ترتفع قيمة المرء في الإسلام كلما ارتقت اهتماماته العقلية، بل إن من أهم الأهداف الإصلاحية لهذا الدين هو تحرير الفكر البشري من ربقة التقليد والخرافات، وتوجيهه نحو الفكر الحر، ولذلك حارب الوثنية لأنها انحطاط بالعقل، وعمىً في البصيرة.. وحين طلب بعض المرتابين فيما جاء به محمد ﷺ المعجزات المادية التي تثبت صحة هذه الرسالة، كان رد الله عليهم أن ينظروا فيما احتوته آيات القرآن الكريم من دلائل

(١) محمد أبو الفتح البيانوني: المدخل إلى علم الدعوة، ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥م، ص٢٧٨.

عقلية وصور كونية، تثبت صحة ما تضمنته هذه الرسالة، وصدق حاملها، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت: ٥٠-٥١).

وقد كتب الله في سننه أن يكون منطق العقل تاج هذه الحياة الإنسانية، يستطيع اكتناه غاية ما تستطيعه الإنسانية من أسرار الكون، كما كتب الله في لوح هذا الوجود أن يقوم نبي الإسلام داعيًا إلى الحق بمنطق العقل هو ومن اتبعه، وفي ذلك يقول عز وجل: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف: ١٠٨).

والإعلام الدعوي يحترم العقل الإنساني، ويقدر الفكر البشري، ويضع الحجج العقلية والأساليب المنطقية على رأس طرق التفاهم والنقاش والجدل المفيد، كما يجعل فيما خلق الله أهم مداخل الإيمان بالله، والتصديق بما جاء به محمد ﷺ.

وإذا كان قد مضى زمن الأنبياء، فنحن لا نستطيع أن نأتي اليوم بسفينة نوح، أو عصا موسى، أو معجزات عيسى -عليهم السلام- لإحياء الموتى وشفاء المرضى، فإنه ليس أمامنا سوى وسيلة الإقناع الهادئ المنطقي، دون صراخ أو صياح أو انفعال قد يضر بالدعوة أكثر مما يفيدها، ويصوّرنا وكأننا قوم من الغوغائيين، الذين يفتقدون القدرة على الحوار

بالحجة والإقناع بالدليل، وهذا يعني أن ما يصلح لمخاطبة المسلمين -حتى العصاة منهم- لا يصلح بالضرورة لغير المسلمين.

وما أكثر الآيات القرآنية التي تطلب من الإنسان أن يفكر ويتدبر، ويطلق عقله ليستنبط به، ثم يعتبر من خلال النظر إلى ما حوله من ظواهر طبيعية وحقائق علمية، يؤكد ذلك ما قاله الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (الزمر:١٧-١٨).. وما قاله عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الروم:٢٨).

وهذا هو الفارق بين الدعوة الإسلامية والدعاية التنصيرية، أو غيرها من الدعاوى الأخرى، لأن عظمة الإسلام وبساطته وأخذه بحكم العقل لا يدع فرصة لأية دعاية أخرى للتشكيك في أنبائه أو الطعن في أحكامه.

وقد درج بعض من يتحملون أمانة الدعوة على استخدام أسلوب الصراخ أو الإثارة وتهييج الجماهير Agitation، والتركيز على أوتار العاطفة، وهذا أسلوب وإن حقق بعض النجاح لدى العوام من الجماهير التي لم تنل حظًا من الثقافة والتعليم، فإنه لا يصلح لمخاطبة المثقفين والمفكرين، لأن هؤلاء يستقبلون الفكرة عبر عقولهم المتفتحة، وملكاتهم الناضجة، ونظراتهم الصائبة.

كما أن هذا الأسلوب -وإن حقق بعض أغراضه لدى جماهير المسلمين، الذين يتوافر لديهم الاستعداد لقبول الدعوة- لا يصلح لمخاطبة

غيـر المسلمين، الذي لا يؤمنـون برسالـة محمـد ﷺ، ولا يعتقـدون فيما حملته آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ.

ولعله من غير المنطقي مخاطبة غير المسلمين بالحجج القرآنية والنهج النبوي، لأن هؤلاء لا يعترفون بالإسلام دينًا ولا يؤمنون بالكتاب والسنة، والسبيل الوحيد للحوار معهم هو الأدلة العقلية، والأمثلة الحياتية، والحجج المنطقية، التي يمكن أن تفحمهم، وتصيبهم بالعجز، وعدم القدرة على الاستمرار في الجدل العقيم والمعاندة المرذولة، كما أفحمَ إبراهيمُ عليه السلام مَن حاجَّه في الله، متحديًا إياه أن يأتي بالشمس من المغرب حيث يأتي بها الله من المشرق، فبُهت الذي كفر، ولم يجد إلا التسليم معلنًا هزيمته.

وهكذا نرى أنه بالتمعن في جوهر الدعوة الإسلامية يتبين أنها دعوة عقلية بكل معاني الكلمة، وتشير كافة الأدلة والبراهين على أن الإسلام دين يقوم على الإقناع، ويستند إلى البرهان في مخاطبة الناس جميعًا، المسلمين منهم وغير المسلمين، وتأتي هذه الأسس على رأس طرق التفاهم والنقاش والجدل المفيد.. كما يجعل النظر فيما خلق الله، من أهم مداخل الإيمان بالله، والتصديق بما جاء به محمد صلوات الله وسلامه عليه. وقد ذكر القرآن الكريم العقل، باسمه ومشتقاته، نحو خمسين مرة، وذكر أولي الألباب بضع عشرة مرة، كما ذكر أولي النهى أكثر من مرة، وقد أمر الله بالمحافظة على العقل لعظم شأنه وضرورة الحاجة إليه، لأن فقده يعني فقد شخصية الإنسان، ولأن الإخلال به يؤدي إلى التخبط والضلال، فحرم

كـل مـا يؤثـر عليـه من المسكـر والمفتـر، ووضع عـقـوبـة قـاسيـة لمن ينتهك حرمته.

وبلغ تقـدير الإسلام للعقل أن جعل معجزته -وهي القرآن الكريم- معجزة إلهية، ترتبط به في كل زمان وفي كل مكان، وما أكثر الآيات القرآنية التي تطلب من الإنسان أن يفكر ويتدبر، ويطلق سراح عقله ليستنبط ويعتبر من خلال النظر إلى ما حوله من ظواهر طبيعية، وحقائق علمية، تمييزًا له عن الكائنات الأخرى التي لا تسمع ولا تعقل ولا تعي، وفي ذلك يقول عز من قائل: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: ٤٤).

والجدل العقلي تصعب ممارسته بمعزل عن حرية العقل، فلا يكون للإنسان أن يجادل فيما لا يقتنع به، ولا أن يسأل عما لا يطمئن إليه قلبه، وبالتالي فإن أبرز ما يميز دعوة الإسلام هو ربطها بالعقل واحترامها له، حيث اشترط هذا الدين على من يتلقون عنه ويدينون به أن يتلقوه بعقولهم، وأن يأخـذوا أحكامه وتعاليمه بعـد بحث وتمحيص، ومَن لم يقتنع بعد ذلك فلا يُكره على اعتناقه، وعلى الله حسابه، كما أن الإسلام ليس في حاجة إليه.

وقد ضرب حاطب ابن أبي بلتعة رضي الله عنه، الذي حمل رسالة الرسول ﷺ إلى المقوقس حاكم مصر، أروع الأمثلة في الإقناع بالحجة، والمخاطبة بالبرهان، حين تحداه المقوقس بعد أن تسلم منه رسالة الرسول ﷺ قائلاً: «ما منعه إن كان نبيًا أن يدعو عليّ فيسلط عليّ؟»

أي أنه إذا كان محمد نبيًا حقًا، فلماذا لا يدعو ربه ليتم القضاء عليّ، ويبسط دينه دون مجهود؟ فردّ عليه حاطب في الحال: «وما منع عيسى ابن مريم أن يدعو على مَن أبىٰ عليه أن يفعل به ويُفعل؟»

أي أن عيسى ابن مريم الذي تؤمنون برسالته كان يستطيع هو الآخر أن يدعو على قومه بما يشاء، وينشر دينه دون مجهود أو معاناة، فما الذي منعه من هذا حتى يوفر على نفسه العناء والمشقة؟

وقد تسبب هذا الرد في إصابة المقوقس بدوار ووجوم، صمت ولم يجد ما يرد به على حاطب، الذي أكد له أن بشارة موسى بعيسى في التوراة مثل بشارة عيسى بمحمد في الإنجيل، وأن الإسلام لم يأت للقضاء على المسيحية، بل جاء ليؤكدها ويصحح مسارها، ولم يجد المقوقس سوى التسليم بنبوة محمد ﷺ، فأرسل له الهدايا، كما أرسل له جاريتين تزوج الرسول بإحداهما وهي مارية القبطية التي أنجب منها ابنه إبراهيم[١].

رابعًا: الدعوة بالكلمة الطيبة والأسلوب الحسن:

تقوم الدعوة الإسلامية على أساس ثابت ومبدأ راسخ في إعلام الجماهير بها، ويعتمد هذا المبدأ على الكلمة الطيبة، والحكمة البالغة، من غير عصبية أو عنف، والحكمة تجعل الداعي إلى الله يقدر الأمور حق قدرها، كما تجعله ينظر ببصيرة المؤمن ليرى حاجة الناس فيعالجها

(١) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، القاهرة، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، ج١، دت، ١٩٥٧، ص٩٨.

بحسب ما يقتضيه الحال، وبذلك ينفذ إلى قلوب الناس من أوسع الأبواب، فتنشرح له صدورهم، ويرون فيه المنقذ لهم، الحريص على سعادتهم ورفاهيتهم وأمنهم ومستقبلهم.

والموعظة الحسنة هي الكلمة الطيبة تخرج من فم الداعية لتصل إلى عقول الناس وقلوبهم، فيجدون فيها الخير والسعادة، وهي التي تحمل للناس البشرى، وتأخذ بأيديهم إلى طريق الحق والصواب، ولا تسيء إلى أحد، ولا تعنف أحداً، وهي الكلمة الطيبة الرقيقة التي تلمس القلوب فترق لها، وتخالط النفوس فتهش لها وتفرح بها، وهي البلسم الشافي يداوي الجروح، ويخفف الآلام، ويشفي النفوس[1].

وإمعانًا في التسامح والرفق والرحمة والصبر، حث الإسلام على التحلي بحسن الخلق وسماحة النفس ولين القول حتى مع الجهلاء، والإعراض عن اللغو في الحديث، وعدم التجاوز في القول، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ (الفرقان:٦٣).

وحث على الكلمة الطيبة والأداء الحسن: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ (البقرة:٨٣).

وقد نهج محمد ﷺ هذا النهج، مجسداً كل معانيه، سواء مع المؤمنين أم مع الطغاة والمتجبرين، وكذلك مع أهل الكتاب وحتى مع

---

(١) محمد الصابوني: من كنوز السنة، الإسكندرية، دار الفتح الإسلامي، ١٩٧٠م، ص١٢٩.

المنافقين والمشركين، ملتزماً في ذلك بأوامر الله جل وعلا الذي حثه على اللين والرقة في معاملته للجميع: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (الأعراف: ١٩٩).

وهكذا تكشف الدعوة الإسلامية عن سمو في منهجها، ورقي في خططها، ورفعة في خطابها، وسماحة في أسلوبها، ودقة في مضمونها، والتزام في إعلامها.

خامسًا: الحوار بين الدعوة الإسلامية وأصحاب العقائد الأخرى:

تشير الأدلة المنطقية والشواهد العملية إلى أن الإسلام هو الدين المكمل لكل الديانات التي سبقته، والمرتبط بدين إبراهيم أبي الأنبياء عليه الصلاة السلام.

ولقد ألزم الله المسلمين أن يقروا بنبوة جميع الأنبياء، من لدن آدم حتى محمد ﷺ، ليس لمجرد التسامح، ولكن لأن الإسلام ما جاء إلا امتداداً لكل الديانات السماوية واحتواءً لها.

وفي ضوء ذلك فإن الدعوة الإسلامية ترحب بالحوار وتؤكد على أهميته، لأنه يفتح المجال لها، ويتيح أمامها أوسع الفرص لتصحيح المعلومات، وتقديم الحقائق لهؤلاء الذين أساءوا فهمها وناصبوها العداء. وقد وضع الإسلام أساساً للعلاقة بين كل أفراد الجنس البشري يقوم على المودة والاحترام، ومساعدة الضعيف وإنقاذ الملهوف، والرفق بالإنسان أياً كان دينه ومذهبه أو أصله، وكذلك الرفق بالحيوان والكائنات كلها،

والقرآن الكريم يحوي العديد من الآيات والمواقف التي تحث على تحقيق العدالة وعمل الخير، وتقديم المعروف لكل الناس، حتى في حالات الغضب والكراهية : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة:٨).

والإسلام بهذا يحافظ على حقوق البشر جميعًا، ويؤكد أن الأصل الإنساني واحد، ويسمح بلغة مشتركة مع كل الناس، وهنا يجد غير المسلمين في الإسلام ما يحقق أغراضهم، ويلبي احتياجاتهم في حياة حرة كريمة تسودها المحبة والسلام والمساواة.

ويؤكد المستشرق الإنجليزي المعروف «توماس أرنولد» أن الملاحدة ظلوا ينعمون في ظل الحكم الإسلامي بدرجة من التسامح ليس لها مثيل في أوربا، وأن العقيدة الإسلامية تلتزم بهذا النهج مع جميع أتباع الديانات الأخرى.. كما جاء في الأخبار النصرانية شهادة تؤيد مدى التسامح الإسلامي، وهي شهادة «عيشويابه» الذي تولى كرسي البطريركية من سنة ٦٤٧هجرية إلى سنة ٦٥٧، إذ كتب يقول ما نصه: «إن العرب الذين مكّنهم الرب من السيطرة على العالم، ليسوا بأعداء للنصرانية، بل يمتدحون ملتنا، ويوقرون قسيسينا وقديسينا، ويمدون يد المعونة إلى كنائسنا وأديرتنا»(١).

هذا هو منهج الدعوة الذي وضعه الله ليلتزم به المسلمون مع غير المسلمين، ويأتي ذلك انطلاقًا من التفاعل والانفتاح بين هذا الدين وكل

---

(1) Thomes of Marge: Book of Goverm ers, P.156.

العقائد الأخرى، لكي يعطي مجالاً واسعًا وأرضية مشتركة للتفاهم والحوار والمعايشة، بعيداً عن الانغلاق والتعصب: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (الجاثية: ١٤).

فالرسل جميعًا كما وصفهم النبي ﷺ في حديث له، هم بناة بيت واحد، يؤسس سابقهم للاحقهم، ويشيد لاحقهم على أساس سابقهم، والعقيدة الإسلامية تؤكد على الإيمان بكل الرسل الذين بعث بهم الله، فلا تفرقة بينهم، ولذلك طلب الإيمان بهم جميعًا، وبما أنزل إليهم، بل ويعتبر الإسلام أن الإيمان ببعض الرسل دون بعضهم الآخر خروج على دين الله وهديه.

وبالتالي فإن أهل الديانات والعقائد الأخرى جميعهم يجدون في القرآن الكريم احترامًا لرسلهم، وفي هذا يقول كارل بروكلمان:

«إنه حين أرسل الله عيسى قبل محمد، فقد أرسل موسى قبل عيسى، وحين تنبأ عيسى بمحمد فقد تنبأ موسى بعيسى، ورسالة محمد أرسلها الله إلى العالم أجمع وليس إلى قوم بعينهم، ليصحح مسيرة الرسالات التي سبقته، ويبلغ الناس بالرسالة الصحيحة التي حملها إبراهيم من قبل، والتي شوهتها الأحداث والأشخاص.. وتأسيسًا على ذلك، فقد حمّل اللهُ أمانةَ الدعوة إلى هذا النبي الخاتم، ليبلغها إلى البشرية جمعاء، وقد استشعر الرسول ﷺ هذه المسؤولية وحمل هذا النداء، وبلّغه لكل الناس»[١].

---

(1) Karl Brockelman: History of Islamic People, London, Henley Lowe and Brydone, Printes Ltd, 1980, P37.

وقد قرر الإسلام أن يُعامل الناس جميعًا على قدم المساواة بدون التفرقة بين صعلوك وأمير، ولا بين شريف ووضيع، ولا بين غني وفقير، ولا بين محبوب ومكروه، ولا بين قريب وبعيد، فالعدالة الإسلامية لها ميزان واحد به يجد غير المسلمين في دعوة الإسلام ما يحقق أغراضهم، ويلبي احتياجاتهم، ويحقق طموحاتهم في حياة حرة كريمة تسودها المحبة والمساواة بين بني الإنسان.

وقد ركز الإسلام على احترام الإنسان وتكريمه مهما كان أصله أو لونه، رجلاً كان أو امرأة، مسلمًا كان أو غير مسلم، أبيض أو أسود، والحفاظ على حقوقه ودرء الخطر عنه لا لشيء إلا لكونه إنسانًا كرمه الله، ورفع قدره على سائر المخلوقات.

سادسًا: التدرج المرحلي في الإعلام الدعوي:

التدرج هو واحد من أبرز المناهج المستخدمة في حقل الإعلام الدعوي، وباستعراض الظواهر الطبيعية والإنسانية في هذا الكون، سنرى أن هذه سنة الله في خَلْقه، فما تكونت الجبال إلا من الحصى، وما ناطحات السحاب إلا لبنات رصت فوق بعضها.. والتدرج سنة كونية، وسنة شرعية أيضًا.

ولهذا خلق الله السموات والأرض في ستة أيام، وكان قادرًا أن يقول لها: كوني فتكون، ولكنه خلقها في أيامٍ ستة، يعلمها الله، كما خلق الإنسان والحيوان والنبات في مراحل متدرجة، حيث مر الإنسان في خَلقه بمراحل متزامنة، كل مرحلة تنبني على ما قبلها وتسلم لما بعدها، حتى أصبح على هذه الصورة التي خرج بها من رحم أُمّه إلى هذه الحياة الواسعة،

وما النطفة والعلقة والمضغة والعظام إلا دليل قاطع على هذه السنة الكونية: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾ (المؤمنون: ١٢-١٤).

ومن هنا نزل القرآن الكريم على الرسول ﷺ متدرجًا، وفي ذلك يقول عز وجل: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ (الفرقان: ٣٢).

كما أن التدرج المرحلي قد ارتبط بحياة الإنسان نفسها منذ مولده وحتى وفاته، وفي ذلك يقول وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ (الروم: ٥٤).

وجاءت سنة التدرج تيسيراً من الله لعباده فيما يشرعه لهم، إيجابًا أو تحريمًا، فحين فرض الفرائض على عباده، كالصلاة والصيام والزكاة، فرضها على مراحل ودرجات حتى انتهت إلى الصورة الأخيرة.. فالصلاة فُرضت أول ما فُرضت ركعتين ركعتين، ثم أقرت في السفر على هذا العدد، وزيدت في الحضر إلى أربع، وهي الظهر والعصر والعشاء.. والصيام فُرض أولاً على التخيير، من شاء صام ومن شاء أفطر وفدى، أي أطعم مسكينًا عن كل يوم يفطره.. والزكاة فُرضت أولاً بمكة مطلقة غير

محددة ولا مقيدة بنصاب ومقادير، بل تُركت لضمائر المؤمنين وحاجات الجماعة والأفراد، حتى فُرضت الزكاة ذات النصب والمقادير في المدينة(١).

والمحرمات كذلك، لم يأت تحريمها دفعة واحدة، فقد علم الله سبحانه مدى سلطانها على الأنفس، وتغلغلها في الحياة الفردية والاجتماعية، فليس من الحكمة فطام الناس عنها بأمر مباشر يصدر لهم، إنما الحكمة بإعدادهم نفسيًا وذهنيًا لتقبلها، وأخذهم بقانون التدرج في تحريمها، حتى إذا جاء الأمر الحاسم كانوا مهيئين فعليًا ووجدانيًا إلى تنفيذه قائلين: سمعنا وأطعنا، ومن أوضح الأمثلة التي تؤكد ذلك هو تحريم الربا والخمر على مراحل معروفة في تاريخ التشريع الإسلامي، حتى نزلت الآيات الحاسمة في النهي عنها من سورة المائدة، وفي ختامها: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة:٩١).

ولعل رعاية الإسلام للتدرج هي التي جعلته يُبقي على نظام الرق، الذي كان سائداً في العالم كله عند ظهور الإسلام، ولو تم إلغاؤه مرة واحدة لأدى ذلك إلى زلزلة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فكانت الحكمة في تضييق روافده ما وجد إلى ذلك سبيل، وتوسيع مصارفه إلى أقصى حد، فيكون ذلك بمثابة إلغاء للرق بطريق التدرج(٢).

وهذه السنة الإلهية في رعاية التدرج، ينبغي أن تتبع في سياسة الناس إذا أريد إقامة دولة الإسلام في الأرض.. إذا أردنا أن نقيم مجتمعًا إسلاميًا حقيقيًا، فإن ذلك لن يتحقق بين يوم وليلة، ومن ثم فإنه في

---

(١) يوسف القرضاوي: مدخل لمعرفة الإسلام، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٩٦م، ص١٢٨.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٩.

البداية لابد من الإعداد والتهيئة لذلك، مع الأخذ في الاعتبار سمو الأهداف ومبلغ الإمكانات وكثرة المعوقات، وهو نفس المنهاج الذي سلكه النبي ﷺ لتغيير الحياة الجاهلية إلى حياة إسلامية، حيث تركزت مهمته خلال ثلاثة عشر عامًا بمكة في تربية الجيل المؤمن، الذي يستطيع فيما بعد أن يحمل عبء الدعوة وتكاليف الجهاد، ولهذا لم تكن المرحلة المكية مرحلة تشريع وتقنين، بل كانت مرحلة تربية وتكوين، وكان القرآن نفسه فيها يُعنىٰ قبل كل شيء، بتصحيح العقيدة وتثبيتها في النفس والحياة، أخلاقًا وأعمالاً، قبل أن يُعنىٰ بالتشريعات والتفصيلات(١).

ولهذا بدأ الإسلام أولاً بالدعوة إلى التوحيد وتثبيت العقيدة السليمة، ثم كان التشريع شيئًا فشيئًا.

وهكذا نرى أنه قد كمل الدين، وتمت النعمة بمنهج التدرج، الذي نزل به، ولو نزل دفعة واحدة لشق الأمر على الخلق وصعب عليهم امتثال أحكامه، وفي هذا درس بليغ للدعاة ليتدرجوا في مناهجهم، ويكونوا عونًا للناس على تطبيقها وامتثالها، وقد تنبه السلف الصالح لهذه الحقيقة حين ساروا على نهج التدرج في مختلف الأمور، حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه(٢).

وفي هذا المعنى تقول عائشة رضي الله عنها، واصفة تدرج التشريع ونزول القرآن بقولها: «إنما أنزل أول ما أنزل من القرآن سور فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا أثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول

---

(١) يوسف القرضاوي: المرجع السابق، ص١٣٠.

(٢) محمد أبو الفتح البيانوني: المدخل إلى علم الدعوة، ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥م، ص٢٣٦.

شيء: لا تشربوا الخمر ولا تزنوا، لقالوا: لا ندع الخمر ولا الزنا أبداً» (رواه البخاري)[1].

وحين أراد الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز أن يعود بالحياة إلى هدي الخلفاء الأربعة بعد أن يتمكن ويمسك الخيوط في يديه، اعترض على ذلك ابنه الشاب التقي عبد الملك وأنكر على أبيه عدم إسراعه في إزالة كل بقايا الانحراف والمظالم، فقال له: مالك يا أبتِ لا تنفذ الأمور؟ فوالله ما أُبالي لو أن القُدور غلَت بي وبِك في الحق، فكان جوابُ الأبِ الفقيه المؤمن: لا تعجل يا بُني، فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين، وحرّمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيَدَعُوه جملة، فيكون من ذا فتنة»[2].

وفي قصص القرآن الكريم نرى سنة التدرج ماثلة في منهج دعوة الرسل، وما قصة نوح عليه السلام عنا ببعيدة، وهو الذي دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، فما آمن معه إلا قليل، ولكنه صبر واحتمل، ونوّع في أساليب دعوته معتذراً إلى الله بقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ (نوح: ٥-٩).

---

(١) د. القرضاوي: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، كتاب الأمة، شوال، ١٤٠٢هـ، ص١٠٥.
(٢) (الموافقات، ٢/٩٤)، يوسف القرضاوي، المرجع السابق، ص١٠٥.

فما بالنا نستعجل استجابة المدعو بعد أول لقاء أو أول تعارف، وما بالنا نحكم على الناس دون أن نخالطهم أو نصبر عليهم؟

وهكذا بيّن لنا المولى عز وجل الطريق الصحيح لدعوة الناس إلى عبادته، وهو طريق الحكمة من خلال التدرج بالناس في معرفة التكاليف، والصبر عليهم في أداء الواجبات. ومن الحكمة أن يفهم الداعي ماذا يريد، ويحدد هدفه، كما يحدد الوسيلة التي تناسب المدعو، وهذا باختصار يعني وضع الشيء في موضعه الصحيح.

والدعوة أولى من غيرها للعمل بالحكمة، يقول تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ (النحل: ١٢٥).

وللوقت دور هام في إحراز النجاح، كما للصبر أثره الفعال في شفاء القلوب المريضة.

وفي ضوء ما تقدم نستطيع القول: إنه طالما أن التدرج سنة إلهية، فلقد وجب على الدعاة والإعلاميين اتباعها والعمل بها، حتى لا يقعوا في المحظور وهو العجلة، وفي ذلك يقول عز من قائل: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ (الإسراء: ١١).

فالمرء يتعجل النتائج ويستبطئ إحراز الهدف، وإذا فعل الداعية ذلك فسيكون مثله كمثل الزارع الذي يحصد الثمرة قبل نضجها، فيكون بذلك قد خسر جهداً بذله في زراعتها، وخسر الثمرة التي قطفها قبل أوان نضجها.

وبعد: ففي ضوء هذه الحقائق، تتضح الأهداف التي يقوم عليها منهج الإعلام الدعوي، والتي يمكن تلخيصها في النقاط التالية[1]:

١ - أن التعريف الصحيح بالإسلام عقيدة وشريعة، يحقق الخير للجميع إذا التزموا بمعطياته، وتمسكوا بمبادئه.

٢ - توضيح القيم الإسلامية البناءة، التي يؤكد عليها الإسلام لتنمية المجتمع والارتقاء بأفراده في كل مكان وكل زمان.

٣ - تأكيد المبادئ النبيلة التي يحث عليها الإسلام، لتحقيق العدل والتكافل والتضامن والخير للجميع.

٤ - التعريف بأحوال المسلمين، وتذكيرهم بمشاكل إخوانهم، والتحديات التي تواجههم، واقتراح الوسائل المناسبة لمساعدتهم.

٥ - إبراز الجوانب الإيجابية في الدول الإسلامية، وعدم الخضوع لسيطرة الإعلام الغربي، لتصحيح الاختلال الكمي والكيفي الذي يمارسه هذا الإعلام في تناوله لقضايا الأمة.

٦ - التعريف بالشخصيات الإسلامية، التي أسهمت في صنع التقدم والتطور في مختلف المجالات.

٧ - تفنيد الدعايات الكاذبة، والافتراءات المغرضة، التي يشنها أعداء الإسلام وخصومه، والتي تتم من خلال الأعمال الأدبية والفنية التي تصور المسلمين بشكل لا يتفق مع واقعهم، خدمة للمخططات الصهيونية والإلحادية.

---

(١) علي عجوة: الإعلام الإسلامي في القرن الحادي والعشرين، مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٤٥١.

٨ - تصحيح الصورة الذهنية الخاطئة، التي تكونت عند بعض الشعوب والجماعات عن الإسلام والمسلمين، عن طريق تقديم الواقع الحقيقي للسلوك الإسلامي الصحيح، وشرح أبعاد الفكر الإسلامي بصورة موضوعية.

٩ - توعية المسلمين في بلاد العالم المختلفة بدورهم في تصحيح صورة الإسلام في غير ديار الإسلام، والتصدي للدعايات المغرضة، وتصحيح المفاهيم الباطلة التي يحاول أعداء الإسلام الترويج لها.

الأطر والمعالم الرئيسة للعمل الإعلامي في المنظور الإسلامي

من خلال استعراضنا للأسس التي تحكم المنهج الإعلامي في المنظور الإسلامي، فإنه يمكن أن نستخلص القواعد والضوابط التي تحكم هذا المنهج وتحدد معالمه، وذلك في مجموعة من النقاط نجملها فيما يلي:

أولاً: المصدر الرئيس لصياغة منهاج إسلامي للعمل الإعلامي هو القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ، ومنهما مرجعية هذا العمل وضوابطه، وهي مرجعية لا تتعدل ولا تتبدل، ولا يعتريها التغيير بفعل عوامل الزمان والمكان، لأنها تستمد نصوصها من الكتاب والسنة، هدفها واضح، وأساليبها محكومة بالقواعد التي تحددها الشريعة الإسلامية.

ثانياً: تختلف الفلسفة الإسلامية في الإعلام عن الفلسفات الأخرى، التي تسقط بسقوط النظام الذي أوجدها والقوى التي تحميها، كما هو الحال في الفلسفة الماركسية.. وهي فلسفة راسخة لا تتعدل أو

تتبدل بحسب الظروف والمتغيرات التي تفرض نفسها على الساحة المحلية أو الدولية -كما هو الحال في الفلسفة الليبرالية أو نظرية المسؤولية الاجتماعية- لأنها تتميز بالثبات والمرونة في نفس الوقت، ثابتة ثبات العقيدة، ومتحركة مع حركة الحياة، تحترم الإنسان وتلبي فطرته، وتنمي عقله، وترتقي بوجدانه، وتطلق ملكاته الإبداعية لإثراء الحياة.

ثالثًا: أن المدرسة الإسلامية في الإعلام، وإن كانت أصولها تستند على قواعد معينة في العقيدة لا يجوز التغيير والتبديل فيها، مهما تغيرت الأزمنة وتغيرت الأمكنة، إلا أنها صورة متحركة غير جامدة، تقبل التطور والتجديد بما يتلاءم مع مقتضيات العصر وحاجاته، وحسبما تمليه الحوادث وترسمه الأيام. ذلك أن الإسلام قد حارب الجمود على المألوف، والتقليد الذي يعمي أصحابه عن رؤية الحقيقة، لأن الدعوة الإسلامية لا تتوقف عند بيئة معينة أو زمان معين، ولكنها تتسع لتخاطب الناس في كل زمان ومكان، انطلاقًا من صلاحية هذه الرسالة لكل الأزمنة، وكل الأمكنة، وكل الظروف والمتغيرات.

رابعًا: النظام الإعلامي في المنظور الإسلامي ليس نظامًا ثيوقراطيًا دينيًا مقدسًا، ولكنه نظام إنساني يقع فيه الخطأ والصواب، ويسمح فيه بالاجتهاد في الرأي، وعرض وجهات النظر المختلفة.

خامسًا: يعتبر الإعلام عن الإسلام ركيزة أساسية من ركائز الدعوة الإسلامية، انطلاقًا مما ورد في كتاب الله الذي يؤكد على فريضة الدعوة،

والالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والبلاغ والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، شريطة عدم الإعلام إلا في حدود الفهم الصحيح، والمعرفة المتعمقة بالمعلومة التي يتم إبلاغها.

سادسًا: أن حرية وسائل الإعلام مكفولة، انطلاقًا من كفالة حرية التفكير والتعبير وحرية الرأي التي أكدتها الشريعة الإسلامية للإنسان، شريطة عدم المساس بالثوابت وأركان الإسلام الرئيسة التي يجب التسليم بما جاءت به من معطيات.

سابعًا: إذا كان الإسلام قد أسس منهجه على كفالة حرية الرأي، كفالة في سبيلها وحدها أحل القتال، ودفاعًا عنها أُبيح دفع المعتدي حتى لا يفتن أحد في دينه، ولا يظلم أحد بسبب اجتهاده ورأيه، فإن هذا المنهج ينظم هذه الحرية وفق قواعد معينة تقوم أساسًا على ما يلي:

١ ـ عدم الخوض في الثوابت من أصول العقيدة، التي أنزلها الحق تبارك وتعالى، كالشهادتين وأركان الدين الخمسة.

٢ ـ عدم الاجتهاد في المعلوم من الدين بالضرورة من أصول العقيدة، وما أجمع عليه العلماء الثقات، واتفق عليه جمهور المسلمين من أمور تخص دينهم ودنياهم، كطريقة الصلاة، والمقدار الواجب من الزكاة، وما إلى ذلك.

ثامنًا: إذا كانت الشريعة الإسلامية قد كفلت للجماهير حرية التعبير وحق الاتصال، وفرضت عليهم هذا الواجب، فإنها ألزمت السلطة

بالاستماع لكل صاحب رأي، كما فرضت على كل مسلم ومسلمة الإسهام بفكره وعلمه، وحذّرت من استخدام وسائل القمع أو القهر لتكميم الأفواه، وحرمان الإنسان من استخدام حقه في القول، والاجتهاد بالرأي، بمختلف الطرق والوسائل المشروعة.

ونظرًا لأن وسائل الإعلام هي أقوى قنوات الاتصال تأثيرًا، وأوسعها انتشارًا، فإن هذه الوسائل تحمل مسؤولية مضاعفة، تتمثل في تقديم النصح للحاكم والمحكوم، وإتاحة الفرصة للجميع لاستخدام حقهم المشروع في التعبير والتحرير.

تاسعًا: التعبير عن الفكر والاجتهاد بالرأي وممارسة الحرية، يجب أن يتم بأسلوب عذب، وعبارات سلسة، وكلمات رقيقة، مدعومة بالحجة الناصعة، والبرهان القوي، والدليل الواضح، لأن المنهج الإسلامي في الإعلام يستبعد العنف والغلظة والإكراه، ويؤكد على الكلمة الطيبة والمعالجة الموضوعية، ويشجع على الحوار الهادئ، والجدل المنطقي، والعرض المقنع.

عاشرًا: المنهج الإسلامي في الإعلام، يرفض الاستبداد الذي تتبناه النظم الاستبدادية والماركسية، كما يرفض الحرية المنفلتة التي تتبناها النظم الليبرالية الغربية.. والاتفاق أو الاختلاف مع هذه النظم في بعض النقاط، لا يعني تبعية هذا المنهج لأي نظام من هذه الأنظمة.

حادي عشر: ملكية وسائل الإعلام مكفولة للأفراد والمؤسسات والحكومات، ولكنها تخضع لما تقرره الشريعة الإسلامية من قواعد الاقتصاد الإسلامي، حتى لا يداخلها أي شكل من أشكال الربا أو الظلم أو الاحتكار، وحتى لا تحتكر الملكية والكلمة معًا فتكون دُولَةً بين الأغنياء، ويهيمن عليها أصحاب النفوذ والسلطان.

ثاني عشر: يصوغ المنهج الإسلامي الضوابط والأخلاقيات التي تحكم نشاط العمل الإعلامي، ويأتي في مقدمتها: الالتزام بالصدق مع النفس ومع الآخرين، فلا اجتهاد بغير معرفة، ولا فتوى بغير علم، ولا غيبة أو نميمة، كما يؤكد على الابتعاد عن قذف المحصنات، واتهام الناس بالباطل، وعدم النشر بغير تمحيص وتدقيق، كما يستبعد النفاق، والمجاملة الممقوتة للأفراد أو الحكومات، ويرفض المبالغة في القول، أو التجاوز للحقيقة أو إخفاءها أو التغاضي عنها، باستثناء الظروف التي تمر بها الأوطان أوقات الحروب والأزمات، حفاظًا على الروح المعنوية، ودرءًا للحرب النفسية المعادية.

ثالث عشر: الإعلام في المنظور الإسلامي، يستهدف -أولاً وقبل كل شيء- بناء الإنسان، لأن الإنسان هو الهدف والغاية التي يتمحور حولها هذا الخلق، لعبادة الله على هذا الكوكب: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦). فالصلاة والزكاة، والعمل

والطاقة البشرية كلها موظفة لتحقيق هذه الغاية التي من أجلها خلق اللهُ الخَلق.. وأي مساس بالإنسان يؤثر على عقله ووجدانه، ويبعده عن الطريق السوي الذي رسمه القرآن وأكدته السنة، مرفوض شكلاً وموضوعًا، محكوم عليه بالبوار والانهيار. ذلك أن أي استثمار يغفل الإنسان ويتجاهل عقله، هو استثمار لا قيمة له ولا جدوى من ورائه، لأن هؤلاء البشر هم المكون الأساس في بناء الأمم، بسواعدهم تنهض، وبعقولهم يمكن الانتصار في المعارك، وتجاوز الصعاب، والتغلب على المشكلات، واقتحام التحديات، وبناء الحضارات.

رابع عشر: يحفل المنهج الإسلامي في الإعلام، بالعلم والعلماء، ومن ثم فهو يشجع على إعداد الدراسات وإجراء البحوث العلمية في مختلف ميادين النشاط الإعلامي -ولا سيما بحوث الرأي العام- حتى يمكن إعداد الخطط العلمية التي تتوافق مع ظروف الجماهير المتلقية، وتتناسب مع واقعهم الثقافي والاقتصادي والاجتماعي، وتلبي احتياجاتهم، وتتناول مشكلاتهم، بعد أن أصبحت بحوث الرأي العام هي المصابيح التي يسترشد بها صناع القرار في وضع السياسات، ومواجهة الأزمات.. وبدون دراسة علمية دقيقة لاتجاهات الجماهير، فإن هذه الخطط والقرارات سوف تكون مجرد مُكاء وتصدية، وقد لا تجد من يعبأ بها أو يهتم بمعطياتها، كما أن هذه البحوث تُسهم في ظهور قيادات إسلامية ديمقراطية، وإبقاء هذه القيادات على صلة وثيقة بالجماهير.

خامس عشر: يؤكد المنهج الإسلامي في الإعلام على أهمية الحفاظ على اللغة العربية، وتقويم اللسان العربي، وتصحيح الأخطاء التي ترتكب في حق هذه اللغة، وحماية الجماهير من الانحراف بها، وذلك من خلال حسن اختيار اللفظ والعبارة، وانتقاء الكلمات الصحيحة الدقيقة، والاهتمام بفن الإلقاء، والقدرة على النطق الصحيح، والحديث السليم، وترسيخ هذه العادة لدى الأطفال الذين يكتسبون عادات النطق وفن القول في أولى مراحل حياتهم. وتستطيع الإذاعة والتلفزيون -بصفة خاصة- الإسهام الفعال في هذا الصدد، لأن هاتين الوسيلتين يمكنهما القيام بدور المدرسة دون التقيد بعدد محدد من التلاميذ[١].

سادس عشر: تستطيع قنوات الاتصال تحقيق ديمقراطية المشاركة، من خلال تهيئة المناخ الصالح للحوار والمناقشة بين القيادات والقواعد، لمناقشة قضايا المجتمع، بهدف إزالة عملية التشويش والعقبات التي تقف في سبيل التفاهم، وتأمين حق الاتصال للأفراد، لمنع اللبس وسوء الفهم، عن طريق الشرح والتفسير وتبسيط الأفكار وتقديمها بطريقة جذابة ومفهومة، وإتاحة الفرصة للمعلومات لكي تنساب إلى الناس بسهولة ويسر، ودون معوقات[٢].

---

(١) محي الدين عبد الحليم وحسن الفقي: العربية في الإعلام.. الأصول والقواعد والأخطاء الشائعة، القاهرة، دار الشعب، ١٩٨٨م، ص٥٥.

(٢) Rivers, William: Mass Media, Delhi Universal Book Stall, 1963, P.3.

سابع عشر: تشير الشواهد العلمية والواقع الملموس إلى أن المنهج الإسلامي في الإعلام ،يواجه صعوبات جمة في العمل به، نظراً للمعوقات الكثيرة والعوامل المتعددة التي تقف حجر عثرة في طريق تطبيقه -شأنه في ذلك شأن المنهج الإسلامي في الاقتصاد والتربية والأدب وغير ذلك من المناهج المختلفة التي تصوغ الفكر الإسلامي- فهذه المناهج لم تأخذ فرصتها بعد في الدراسة العلمية المتأنية، كما لم تأخذ سبيلها إلى التطبيق العملي، لاعتبارات سياسية أو أيديولوجية أو إدارية.

ثامن عشر: تتحمل الدول الإسلامية مسؤولية إحداث تغيير جذري في النظام الحالي الذي يحكم العلاقات الإعلامية بين الدول المتقدمة والدول الإسلامية، بحيث تكون علاقات محترمة وعادلة، تحقق الحد الأدنى لحقوق الإنسان في الاتصال، بدلاً من الهيمنة الفكرية التي تجعل فئة مسيطرة وأخرى خاضعة، مغلوبة على أمرها، وتحدث اختلالاً بيِّنًا في نشاط وملكية وسائل الاتصال وقنوات الفكر ومصادر المعلومات.

تاسع عشر: تتحمل أجهزة الدعوة والإعلام مسؤولية تزويد الجماهير المسلمة وغير المسلمة بحقائق الدين الإسلامي، لحماية الرأي العام من أخطار الجهل به، والقضاء على المعتقدات الخاطئة والمفاهيم المغلوطة التي تسود أغلب دول العالم عن الإسلام والمسلمين.. كما تتحمل هذه الأجهزة مسؤولية الحفاظ على صورة الإسلام خارج ديار الإسلام، وتزويد الرأي العام العالمي بالرؤية الإسلامية الصحيحة للقضايا

المعاصرة، وتعريفه بموقف الإسلام من العقائد والأديان والمذاهب الأخرى، وتقديم البديل للمشكلات الدولية التي استعصت على الحل في المجتمعات الأخرى.

عشرون: كشفت الدراسة عن أهمية استثمار معطيات التكنولوجيا المعاصرة في حقل الإعلام والمعلومات، وأهمية استثمار كافة الوسائل المتاحة، لتحقيق أوسع انتشار ممكن لدعوة الإسلام على هذا الكوكب الذي نعيش فيه، عبر وسائل الإعلام الحديثة والتقنيات المعاصرة، وإقامة مراكز نشطة للدعوة الإسلامية في الخارج تضطلع بمهمة الإعلام عن الإسلام بمختلف الطرق والأساليب، من خلال إقامة جسور من التعاون، وتبادل المعلومات مع أجهزة الإعلام ومراكز المعلومات ووكالات الأنباء الدولية.

حادي وعشرون: تؤكد المستجدات المعاصرة على الساحة الإعلامية، أهمية تأهيل كوادر من العناصر المسلمة والمؤيدة لقضايا الأمة في الداخل والخارج، وتكليفهم بالدعوة إلى الله والإعلام برسالته، نظراً لأن اختيار العناصر المؤمنة والقادرة على تبليغ الرسالة هو في الحقيقة البداية الصحيحة والركيزة الأساس لنجاح هذا العمل، ومن ثم يصبح من الأهمية بمكان تخليص هذه الأجهزة من العناصر المنافقة والضعيفة والمغرضة والكارهة للإسلام وأهله.

والله ولي التوفيق.

الفهـرس

الموضـــــوع	الصفحة
* تقديم بقلم الأستاذ عمر عبيد حسنه	٩
* مقدمــة	٤١
* الفصل الأول: الإعلام المعاصر وثورة الاتصال بالجماهير	٤٥
ـ أولاً: الاتصال بالجماهير ومعطيات العصر	٤٥
ـ ثانيًا: التنسيق والتكامل بين مختلف الوسائل	٥٠
* الفصل الثاني: الجهاد الإعلامي وتحديات العصر	٥٧
ـ أولاً: الإعلام عن الإسلام (الأصول والقواعد والأهداف)	٥٧
ـ ثانيًا: بين الدعوة والدعاية والإعلام	٦٥
ـ ثالثًا: الإسلام والإعلام الدولي	٦٩
* الفصل الثالث: الأصول الفلسفية والعقدية للعمل الإعلامي	٧٧
ـ أولاً: الفلسفة الإسلامية في الإعلام .. والفلسفات المعاصرة	٧٧
ـ ثانيًا: المرجعية الفكرية للنشاط الإعلامي	٨٨
* الفصل الرابع: النظام العالمي وإشكاليات الإعلام الإسلامي المعاصر	٩٧
* الفصل الخامس: المنهج المميز للإعلام الدعوي	١٦٧
ـ الأطر والمعالم الحديثة للعمل الإعلامي في المنظور الإسلامي	١٨٨
* الفهـرس	١٩٧

وكـــــلاء التـــوزيـــع

البلـد	اســـم الوكيـــل	رقم الهاتف	عنـوانـه
قطـــر	□ دار الثقـــافـــة □ دار الثقافـة «قسـم توزيع الكتـاب»	٤١٤١٨٢ ٤١٣٤٧١	ص.ب: ٨١٥٠ ـ الدوحة فاكس: ٤٣٦٨٠٠ ـ بجوار سوق الجبر
السعودية	□ مـكتبـــة الـــوراق	٤٥٠٩٠٥٧-٤٥٥١١٤٢	ص.ب: ٩ الرياض ١١٤١١ فاكس: ٤٥٣٠٠٧١
الإمـارات	□ مكتبـــة علـــوم القـــرآن	٣٧٤٤٤٥	ص.ب: ٢١٦٣٣ ـ الشارقة فاكس: ٣٦١١١٠ ـ الإمارات
البحـرين	□ مـكـتـبـــة الآداب	٢٣١٠٦٢ ٢١٠٧٦٨ (المنامة) ٦٨١٢٤٣ (مدينة عيسى)	ص.ب: ٢٨٧ ـ البحرين فاكس: ٢١٠٧٦٦
الكـويت	□ مكتـبة دار المـنار الإسـلاميـة	٢٦١٥٠٤٥	ص.ب: ٤٣٠٩٩ ـ حولي ـ شارع المثنى رمز بريدي: ٢٣٠٤٥ فاكس: ٢٦٣٦٨٥٤
الأردن	□ مؤسـسة الفريد للنشـر والتوزيـع	٥٦٠١٠٩٩	ص.ب: ٩٦٠٦٥٤ ـ عمّان فاكس: ٥٦٩٨٩٢٩
اليمـــن	□ مكتبـة الجـيـل الجـديـــد	٧٨٠٤٠ ـ ٧١٣٦٣ ٢٧٠٣٨ ـ ٧٥٨١١	ص.ب: ٥٤٤ ـ صنعاء
السـودان	□ دار التـــوزيـــع	٧٧٩٤٦٠ ـ ٧٧٥٥٨٥	ص.ب: ٣٥٨ ـ الخرطوم
مصــر	□ مؤســسة تــوزيـع الأخـبـار	٧٥٨٨٨٨-٧٤٨٨٤٤ ٧٤٨٨٨٨	ص.ب: ٧ ـ القاهرة فاكس: ٥٧٤٨٧٠١
المغـــرب	□ الشركة العربية الأفريقية للتوزيع «سيبرس»	٢٤٩٢٠٠	ص.ب: 13008 - 70 زنقة سجلماسة الدار البيضاء 5 ـ فاكس: ٢٤٩٢١٤
الجزائـــر	□ وكالــة القبس للنشــر والتوزيــع	٩٢٨١٩٤	ص.ب: 431 قسنطينة م ر ـ الجزائر فاكس: ٩٤١٠٦٦ ـ ٩٤٤٢١٨
إنكلتــرا	□ دار الرعــايـــة الإسـلاميـــة	(01) 272-5170/ 263 - 3071	**Muslim Welfare House,** **233. Seven Sisters Road,** **London N4 2DA.** **Fax : (071) 281 2687** **Registered Charity No: 271680**

ثمـن النسـخـة

الأردن	(٥٠٠)	فلـس
الإمـارات	(٥)	دراهـم
البحـرين	(٥٠٠)	فلـس
تونـس	دينـار	واحـد
السعـوديـة	(٥)	ريالات
السـودان	(٤٠)	دينـارًا
عُمـان	(٥٠٠)	بيسـة
قطـر	(٥)	ريالات
الكـويـت	(٥٠٠)	فلـس
مصـر	(٣)	جنيهات
المغـرب	(١٠)	دراهـم
اليمـن	(٤٠)	ريـالاً

* الأمريكـتـان وأوروبا وأستراليا وبـاقـي دول آسـيـا وأفـريقـيـا، دولار أمريكي ونصف، أو ما يعادله.

مركز البحوث والدراسات

هاتـف : ٤٤٧٣٠٠

فاكـس : ٤٤٧٠٢٢

برقـيـاً : الأمة ـ الدوحة

ص . ب : ٨٩٣ ـ الدوحة ـ قطر

موقعنا على الإنترنت :

www.islam.gov.qa

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية : ٣٠٠/١٩٩٨

الرقم الدولي (ردمك) : × - ٧٧ - ٢٣ - ٩٩٩٢١

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
مركز البحوث والدراسات

جائزة مكتبة الشيخ

علي بن عبد الله آل ثاني

للعلوم الشرعية والفكر الإسلامي

إسهاماً في تشجيع البحث العلمي، تنظم مكتبة الشيخ علي ابن عبد الله آل ثاني رحمه الله الوقفية، مسابقة بحثية في مجال العلوم الشرعية والفكر الإسلامي، جائزتها خمس وسبعون ألف ريال قطري.

موضوع الجائزة لهذا العام: «**قضايا البيئة من منظور إسلامي**».

شروط الجائزة:

١ ـ يُشترط في البحوث المقدمة، أن تكون قد أُعدّت خصيصاً للجائزة، وألا تكون جزءًا من عمل منشور، أو إنتاج علمي حصل به صاحبه على درجة علمية جامعية، وأن تتوفر في هذه البحوث خصائص البحث العلمي، من حيث المنهج والإحاطة والتوثيق، وسلامة الأسلوب والجدة والابتكار.

٢ ـ يُقدم البحث من ثلاث نسخ، مكتوباً على الآلة الكاتبة، ويفضل أن يكون مكتوبًا على الحاسوب، على ألا يقل عدد صفحاته عن مائتين وخمسين صفحة، ولا يزيد على ثلاثمائة صفحة "فلوسكاب".

٣ ـ يحق للجهة المشرفة سحب قيمة الجائزة، إذا اكتشفت أن البحث الفائز قد نُشر سابقًا، أو قُدِّم إلى جهة أخرى، أو لغرض آخر، أو مستلاً من رسالة علمية.

٤ ـ يُرفق مع البحث ترجمة ذاتية لصاحبه وثبتًا بإنتاجه العلمي المطبوع وغير المطبوع، بالإضافة إلى صورة جواز السفر وصورة شخصية حديثة.

٥ ـ آخر موعد لاستلام البحوث نهاية شهر سبتمبر (أيلول) من عام ١٩٩٨م.

٦ ـ تعرض البحوث على لجنة من المحكمين، يتم اختيارهم في ضوء موضوع الجائزة.

العنوان البريدي: ترسل البحوث بالبريد المسجل على العنوان التالي:

ص . ب : ٨٩٣ – الدوحة – قطر

لمزيد من الاستفسار، يرجى الاتصال على:

هاتف: ٣٢٤٥٨٤ ـ ٣٢٤٥٨٦ ـ ٣٢٨٢٥٤ ـ فاكس: ٤٣٦٠٧٠ ـ ٠٠٩٧٤

هذا الكتاب .. يعتبر إحدى المحاولات لبلورة رؤية إعلامية، وتحديد بعض الملامح والمعالم الرئيسة للمنهج الإسلامي في الإعلام، ذلك أن الجهود التي تناولت المنظور الإسلامي للإعلام بما فيها ما يطلق عليه: «الجهود الأكاديمية»، لا تزال متواضعة لا ترقى إلى مستوى المنبر الإسلامي المطلوب، ولا تحقق الاضطلاع بمهمة البلاغ المبين، كما أنها لا ترقى إلى مستوى العصر، بكل عطائه وتقنياته الإعلامية، وكأن الإعلام في عالم المسلمين ما يزال يعاني غربة الزمان والمكان.

ولعل السبب في ذلك اتساع فجوة التخلف بين الماضي المشرق والواقع المتخلف، شأنها في ذلك شأن الفجوة القائمة بين ما يسمى الإعلام الإسلامي -تجاوزاً- والإعلام العالمي، حتى انتهى عالمنا الإسلامي إلى موقع التلقي لكل ما يُصَبُّ عليه، بحيث تكاد تكون معظم مشاركاته تمثل رجع الصدى للإعلام العالمي، وإعادة إنتاجه وإرساله.

DAR AL-ULOOM دار العلوم